الحزب الوطني المصري وايليا ابي ماضي

بمناسبة ذكرى مرور قرن على ميلاد مصطفى كامل

بقلم جورج ديمتري سليم

* * *

يوافق ١٤ اغسطس (آب) من هذا العام ذكرى مرور قرن على ميلاد المصري الخالد مصطفى كامل (١٨٧٤ – ١٩٠٨) . ولعله من المناسب في هذه الذكرى الطيبة ، عرض صفحة منسية ، او بالاحرى مجهولة ، من حياة المهجري ايليا ظاهر ابي ماضي (١٨٨٩ – ١٩٥٧) تتصل اتصالا وثيقا بـ « الحركة الوطنية » التي كان مصطفى كامل باعثها في مصر في اوائل هذا القرن .

والحديث عن ابي ماضي والحركة الوطنية يبدأ بعام ١٩٠٠ ، عام شاءت الاقدار فيه لايليا ان يهاجر عن لبنان ، وان ينزل مصر . وكان ايليا اذ ذاك صبيا في الحادية عشرة من عمره ، متفتح قلبه للحياة .

ونزول ايليا بثغر الاسكندرية ، في هذه السن المبكرة ، وفي تلك الفترة بالذات من تاريخ مصر ، ترك فيه اثرا اي اثر . فقد عرضه لاشياء ما كان ليتعرض لها لو انه بقي في ضيعة المحيدثة الوادعة التي ولد بها ونشأ ، وامضى فيها ما يزيد على عقد من الزمان .

كان اول ما تعرض له ايليا ، حال نزوله في الاسكندرية ، حديث الناس المتواصل عن « الاحتلال » ، وعن « الجلاء » ، وعن «مصطفى كامل» ، وعن « اللواء » . وعلم الفتى مما سمعه ، وكذلك مما قراه – فقد كان قادرا على القراءة – ان في ١١ – ٧ – ١٨٨٢ ، ضرب الاسطول البريطاني الاسكندرية بمدافعه ضربا متواليا . فلما سلمت المدينة ، ابحر الاسطول شرقا ، وعبر قناة السويس حتى وصل الى الاسماعيلية . وهناك ، نزلت الجنود البريطانية وباغتت احمد عرابي وجنوده ، ثم فتحت طريقها الى القاهرة العاصمة ، ودخلتها في ١٤ – ٩ – ١٨٨٢ . فكان الاحتلال ، وكانت تولية البريطانيين لانفسهم على مصر حكاما .

ولم يمض وقت يذكر على ايليا الا وقد عرف ايضا ان « اللواء » الذي يتخاطفه الناس حال ظهوره في المدينة انما هو جريدة يومية سياسية ، لها في مصر من العمر ما له فيها . فقد بدات تصدر في القاهرة في ٢ – ١ – ١٩٠٠ . وعرف ايليا كذلك ، ان « مصطفى كامل » الذي يتردد اسمه على الالسنة ، انما هو صاحب « اللواء » ومحرره الذي يكتب جله من ترجمة وانشاء ، وانه مؤلف له رواية « فتح الاندلس » (١٨٩٣) ، ومجموعة اعمال بعنوان « مصر والاحتلال » (١٨٩٦) ، وكتاب « المسالة الشرقية » (١٨٩٨) ، وان له مدرسة في القاهرة باسمه يديرها بنفسه . وهو محام في ٢٦ ربيعا ، نال شهادة الحقوق من فرنسا عام ١٨٩٤ ، ولكنه لم يحترف المحاماة ، بل وقف نفسه على خدمة وطنه . ثم هو بليغ بالفرنسية بلاغته بالعربية ، كثير السفر الى اوروبا – فرنسا خاصة – ليخطب على منابرها ، وليكتب في صحفها ، داعيا رجال السياسة والقلم الاوروبيين الى تعضيد مصر في مطالبها .

فوق كل هذا ، لمس ايليا ان لمصطفى كامل منزلة خاصة لدى الاسكندريين ، سجلوها للاجيال القادمة في هذه العبارة المختصرة التي حفروها على وسام من فضة ، اهدوه اياه عام ١٨٩٦ ، والتي تقول : « برهان الاخلاص من اهالي الاسكندرية ، للوطني الغيور مصطفى كامل » .

لقد كان مصطفى كامل في الثانية والعشرين عندما منحه الاسكندريون هذا الوسام ، وكان ذلك عقب اول خطبة سياسية له في مدينتهم ، خطبة قال عنها يومها محرر « المؤيد » : « الاولى التي اقدم على القائها شاب مصري غيور ، عرف واجب الوطن وضرورة التفاني في حبه المقدس ، بعد ان مر على الاحتلال الاجنبي اربعة عشر عاما . »

انتهى الى ايليا اليافع كل ما سبق ، في سنته الاولى بمصر ، فبدأ يعجب بالسياسي الشاب مصطفى كامل ، وبالحركة الوطنية التي تزعمها ، وبـ « اللواء » الذي كان حجرا اساسيا في بنائها .

ومر عام ١٩٠١ ، وجاء عام ١٩٠٢ ، واقترح مصطفى كامل على صفحات جريدته الاحتفال بالعيد المئوي لتولية الشعب محمد علي واليا على مصر . واقيم الاحتفال في الاسكندرية ، وحضره ثلاثة الاف ونيف . ودعي اليه مصطفى كامل للخطابة . فوقف يذكر المصريين بالمجد الذي كان لهم في الماضي القريب ، وبالذل الذي صاروا اليه :

« نحن نرى من العار والخيانة عدم المطالبة بالجلاء ، نحن نرى من الجبن والاستماتة عدم المطالبة بالدستور ، اي بالنظام الذي تتمتع به الامم المتمدنة .

هذه حياة محمد علي ، لنا ان نستنبط منها ما يفيد البلاد في الحال والاستقبال ، لنا ان نضربها مثلا للابناء والناشئين ليعلموا ان مصر كانت من القوة والبأس بمكان ، وانها تكون كذلك لو طرقوا ابواب الاتحاد والوئام ، وسلكوا مسالك العزم والاقدام . »

كلمات قوية ، نطق بها شاب ، كان لها دويها داخل مصر وخارجها .

ثم مر عام ١٩٠٣ ، وجاء عا ١٩٠٤ ، ومعه جاءت « مدام جولييت آدم » لزيارة مصر ، بناء على دعوة من مصطفى كامل . وامل مصطفى كامل يومها ان يكون لزيارة

الكاتبة الفرنسية الشهيرة مفعولها في الاوساط السياسية، عند عودتها الى بلدها . ولكنه خذل . فما كاد يمضي شهر على مغادرة « مدام آدم » مصر ، الا وكانت فرنسا تعقد في ٨ – ٤ « اتفاقا وديا » مع غريمتها بريطانيا ،تتعهد لها فيه باطلاق يد بريطانيا في مصر ، مقابل تعهد بريطانيا بعدم عرقلة امور فرنسا في مراكش .

ثم مر عام ١٩٠٥ ، وجاء عام ١٩٠٦ مليءبالاحداث . ففي فبراير (شباط) اضرب طلبة كلية الحقوق عن الدراسة احتجاجا على سياسة التعليم التعسفية التي فرضتها عليهم السلطات المحتلة .وفي ابريل (نيسان) افتتح «نادي المدارس العليا » الذي كان «من اعظم مظاهر الوطنية في ذلك العصر .. فيه ظهرت قوة الشبيبة ووحدتها .. وفيه تأسست « جمعية رعاية الاطفال » ، وفي قاعاته اجتمعت وقتا ما لجنة انشاء « الجامعة المصرية » ، وفيه تأسست « مدارس الشعب » لتعليم العامة ، وقام اعضاء النادي بالتدريس فيها ، وفيه نشأ مشروع النقابات الزراعية ... وكان فوق ذلك معهدا قوميا لنشر المبادىء الوطنية الصادقة وبثها في نفوس الجيل ».

وفي مايو (ايار) وقعت « حادثة العقبة » (حادثة طابة) . فقد طلبت بريطانيا من تركيا ، باسم مصر ، سحب جنودها من « طابة » عندما عزمت تركيا على مد خط حديدي الى العقبة ، رأته بريطانيا يهدد مصالحها في مصر . فلما سحبت تركيا جنودها ، ضاعفت بريطانيا قواتها الاحتلالية ، وزادت في نفقاتها العسكرية التي كانت مصر في غنى عن تحملها .

وفي يونيو (حزيران) وقعت « حادثة دنشواي » ، تلك الحادثة التي لا تنسى في تاريخ الاحتلال . فقد بدأت بخروج خمسة ضباط بريطانيين الى بلدة « دنشواي » للتسلي بصيد الحمام، وانتهت بالحكم على« واحدوعشرين متهما : حكم بالاعدام على اربعة منهم ، وبالاشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وبها لمدة خمس عشرة سنة على واحد، وبالسجن سبع سنوات على ستة ، وبالحبس مع التشغيل مدة سنة مع الجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، وبالجلد خمسين جلدة على خمسة .

وقعت الحادثة المحزنة يوم ١٣ ، ونفذت الاحكام الظالمة يوم ٢٨ ، ومصطفى كامل يستشفي في باريس . فلما بلغته الانباء ، غضب ، وثار ، وقام يدافع عن مصر واهلها بكل ما اوتي من قوة ، غير عابىء بما تتطلبه منه صحته . فكتب مقالة بعنوان « الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن » ، نشرتها جريدة « لـ فيجارو » الفرنسية ، فصل فيها وقائع الحادثة وملابساتها ، واجراءات المحاكمة، وفظاعة تنفيذ الحكم ، وبعدها قال ما ترجمته :

« جئت اسأل الذين يجاهرون في كل آن ذاكرين الانسانية ، مالئين الدنيا بعبارات الانفعال والسخط ، اذا حدثت فظائع في بلاد اخرى دون فظيعة دنشواي الف مرة ان يثبتوا صدقهم واخلاصهم بالاحتجاج بكل قوة وشدة على عمل فظيع يكفي وحده لان يسقط الى الابد تلك المدنية الاوروبية في اعين العالم كافة !

جئت اسأل الامة الانجليزية اذا كان يليق بها ان تترك الممثلين لها في مصر يلجأون – بعد احتلال دام اربعة وعشرين عاما – الى قوانين استثنائية ووسائل همجية – بل واكثر من همجية – ليحكموا مصر، ويعلموا مصر ماهية كرامة الانسان ».

لقد « كانت هذه المقالة – كما ذكر المؤرخ عبدالرحمن الرافعي – هي في ذاتها من اهم حوادث الحركة الوطنية».

ثم جاء عام ١٩٠٧ ، فاستقال « لورد كرومر » – أو بالاحرى اقيل – من منصبه كحاكم مصر ، ليخلفه « سير الدن غورست » . اما مصطفى كامل ، الذي كانت شهرته وقتئذ قد بلغت الافاق ، فيراه المصريون يصدر في القاهرة، الى جانب « اللواء » القديم ، « لواءين » جديدين بلغتين عالميتين : « ل تاندار اجيبسيان » بالفرنسية ، و « ذي اجيبشان ستاندرد » بالانكليزية ، ليتمكن من ايصال كلمة مصر الى ابعد مدى .

ويرونه كذلك في نهاية العام يقف لاخر مرة في الاسكندرية ، امام سبعة الاف حاضر ، ليلقي اهم خطبة القاها في حياته ، ويختمها داعيا « كل واحد منكم للدخول في « الحزب الوطني » حتى تتسع دائرة العمل لخدمة مصر ».

ولكن العلة التي كانت قد تملكت من جسم مصطفى كامل لم تمهله ان يعيش طويلا ليدعم حزبه بعد هذه الدعوة . ففي ١٠ – ٢ – ١٩٠٨ اسلم الروح ، بعد ان أهلك جسمه جهاده المستميت في سبيل مصر ، وكان في ربيعه الرابع والثلاثين . فحزن عليه المصريون حزنا لم يحزنوا مثله على سياسي قبله . فكان البكاء ، وكان الرثاء وكان ايليا ظاهر ابي ماضي من الباكين ، ومع الراثين .

بكيت ، ولكن بالدموع السخينة — وما نفدت حتى بكيت بمهجتي
على«الكامل»الاخلاق،والندب «مصطفى» — فقد كان زين العقل،زين الفتوة
نعاه لنا الناعي ، فكادتبنا الدنى — تميد لهول الخطب ، خطبالمروءة
وذابت قلوب العالمين تلهفا — وسالت دموع الحزن من كل مقلة
اجل، قد قضى في«مصر»اعظم كاتب — فخلف في الاكباد اعظم حسرة
فتى، وابي ، لو ان فيالناسمثله — لهان علينا وقع هذي الرزيئة
ولو كان يفدى بالنفوس منالردى — جعلنا فداه كل نفس ابية
فتى مات غضالعمر، لم يعرفالخنا — ولم ينطوي في نفسه حب ريبة
وقد كان مقداما جريئا، ولم يكن — ليبغي الردى غير النفوس الجريئة
وكان جوادا ، لا يضن بحاجة — لذلك اعطى روحه للمنية
سلام على « مصر » الاسيفة بعده — فقد اودعت آمالها جوف حفرة
خطيب «بلاد النيل»، ما لك ساكتا — وقد كنت تلقي خطبة اثر خطبة
تطاولت الاعناق حتى اشرأبت — فهل انت مسديها ولو بعض لفظة
نعم ، كنت لولا الموت فارج كربها — فيا للردى من غاشم متعنت
تفطرت الاكباد حزنا كانما — مماتك سهم حل في كل مهجة
وما حزنت أم لفقد وحيدها — بأعظم من حزني عليك ولوعتي

تناديك « مصر » الان يا خير راحل ... ويا خير من يرجى لدفع الملمة
عهدتك تابى دعوة غير دعوتي ... فما لك تابى « مصطفى » كل دعوة
فقدتك ريانا ، فيا طول لهفتي ... لقد كنت سيفي في الخطوب وجنتي
اجل ، طالما دافعت عن «مصر» مثلما ... يدافع عن مأواه نحل الخلية
فأيقظتها من رقدة بعد رقدة ... وانهضتها من كبوة تلو كبوة
وقويت في ابنائها الحب نحوها ... وكنت لهم في ذاك افضل قدوة
رفعت « لواء » الحق فوق ربوعها ... فضم اليه كل ذي وطنية
لئن تك اترعت القلوب محبة ... فانك لم تخلق لغير المحبة
فنم آمنا وفيت قومك قسطهم ... فيا طالما ناموا وانت بيقظة
سيبقي لك التاريخ ذكرا مخلدا ... فقد كنت خير الناس في خير امة
عليك من الرحمن الف تحية ... ومن ارض « مصر » ألف الفتحية

احدثت وفاة مصطفى كامل فراغا هائلا في الحركة الوطنية سرعان ما ملأه رجلان قديران ، كان محمد فريد (١٨٦٨ ـ ١٩١٩) واحدا منهما .

ومحمد فريد ـ كما يقول لنا مؤرخنا الرافعي ـ « زميل مصطفى المخلص ، وصديقه الوفي ، وعضده الاكبر في بعث الحركة الوطنية ، لازمه وايده في جهاده (منذ تعاهدا عام ١٨٩٦) ، وبذل له ما بذل من العون الادبي والمادي ، وظل وفيا له طول حياته . وقد صحبه في كثير من رحلاته ، واجتمعا بها معا برجال السياسة والصحافة وكتابها المشهورين ، وناب عنه خلال صيف ١٩٠٧ في الاشراف على « اللواء » وادارة جريدتي « ليتندار اجبسيان » و « ذي اجبشيان استاندرد » حينما سافر مصطفى الى اوروبا ، وكان يراه خير خليفة له في قيادة الحركة الوطنية ، فاختاره وكيلا للحزب الوطني في اول جمعية عمومية له (انعقدت في ٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٠٧) ، واوصى بانتخابه رئيسا بعده » .

فلما انتخب محمد فريد رئيسا للحزب في ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٠٨ ، كان اول عمل قام به ارسال برقية الى « سير ادوارد جراي » ، وزير خارجية بريطانيا ، ينبؤه فيها بأن :

« الجمعية العمومية للحزب الوطني انتخبتني رئيسا بدل المرحوم مصطفى كامل باشا ، وكلفتني بان اجدد احتجاجها على احتلال القطر المصري بلا حق ، وتعلن عزمها على السير في خطة المرحوم الرئيس حتى تفي انجلترا بوعودها . »

واتضح لبريطانيا ، ان الحركة الوطنية التي املت لها الخمود بموت مصطفى كامل لن تخمد ، بل ستشتد ، ولهذا قررت ان تقاومها بـ « سياسة الوفاق » التي قوامها التعاون بين « سير الدون غورست » ، حاكم مصر الفعلي ، وبين الخديوي عباس حلمي الثاني ، حاكمها الشرعي .

وتصدى محمد فريد لهذه السياسة في خطب ومقالات ، كان بعضها شديد اللهجة ، احرجت الخديوي والاحتلال معا . كما واصل ايضا سياسة سلفه ، فسافر الى اوروبا في ١٩٠٨ وفي العامين التاليين ، للدفاع عن قضية مصر .

على ان اهم سفرة قام بها محمد فريد للدعاية لمصر في الخارج ، بعدما تولى رئاسة الحزب ، كانت سفرته عام ١٩١٠ . اذ انه في هذه السفرة ـ كما لخصها الرافعي ـ « ظل بعيدا عن الوطن نحو ثمانية اشهر قضاها متنقلا بين عواصم اوروبا ، مجاهدا مدافعا عن القضية المصرية ... فقد وقف خطيبا في باريس ، ثم في ليون ، ثم في لندن ، يعلن للرأي العام حقيقة المطالب الوطنية ، ويترجم عن آمال مصر ، ويدافع عن حقها في الحرية والاستقلال . ثم حضر مؤتمر السلام في استوكهلم ، ورفع صوت مصر بين مجموعة الامم التي اشتركت فيه ، ورجع الى باريس بعد معدات المؤتمر الوطني الذي اعتزم عقده فيها ، حتى اذا منعته الحكومة الفرنسية بادر الى عقده في بروكسل ، وبعد انتهاء المؤتمر عاد الى باريس ، ثم قصد الى المانيا ، ليبعث المسألة المصرية في صحافتها ودوائرها السياسية ، وعرج على الاستانة لكي يحكم روابط الود بين مصر وتركيا ، ويحبط مساعي انجلترا في دفع تركيا الى الاعتراف بالاحتلال ، هذا الى احاديثه في مختلف الصحف الاوروبية ، ومقالاته في الصحف المصرية عن مشاهداته وخواطره وملاحظاته في رحلاته ، وما تضمنته من الدروس الوطنية والاراء السديدة . »

ويتابع الرافعي كلامه عن محمد فريد فيقول : « قام الزعيم بهذه الجهود الموفقة مدة غيبته عن الوطن ، فلا غرو ان قوبل من الشعب عند عودته بأعظم مظاهر التقدير والحفاوة ، فاستقبله المواطنون بالاسكندرية استقبالا رائعا يوم ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) على ظهر الباخرة ، وعلى رصيف الميناء ، وفي الطريق الى فندق « متروبول » على شاطىء البحر ، ثم منه الى المحطة حيث استقل القطار في اليوم نفسه ، وهناك احتشدت الجماهير ، وتعاقب الخطباء يشكرون الزعيم على جهاده للوطن . »

ولقد حركت عودة محمد فريد من اوروبا شعور ... ماضي الشاب ، كما حركت شبابا كثيرين ، فنظم القصيدة التالية المجهولة التي انشد زعيم الحزب اياها في محطة السكة الحديد بالاسكندرية ، اعجابا به :

اليوم يذهب هم جد في طلبي ... حتى عييت وحتى كاد يذهب بي
حييت من آئب لولاه ما حفلت ... بالانس نفسي ولا اشتاقت الى الطرب
اقسمت ما الروض في ابان نضرته ... اذ مسرح الطرف بين النور والعشب
ولا الغزالة تبدو للعيون ضحى ... كأن اسلاكها صيغت من الذهب
ابهى واجمل مرأى منك منقلبا ... غب اغترابك عنا خير منقلب
لانظمن القوافي فيك آبدة ... كالشمس ، خالدة كالدهر والحقب
انت الهمام الذي في الله رحلته ... والحق ، لا في سبيل اللهو واللعب
جبت المخاطر والاهوال مغتربا ... يا ليت مثلك منا ألف مغترب
يعدو بهم في فجاج الارض ذو لجب ... والفلك تجري بهم في البحر ذي العبب
اذ ذاك تبلغ « مصر » ما تحن له ... ويصبح «النيل» في امن من العطب
لله درك في حل ومرتحل ... ودر سعيك في بعد وفي قرب
طورا خطيبا على الارواح محتكما ... بالسحر يأخذها في صورة الخطب
ان شاء طابت عن الايام راضية ... وان ابى امتلات سخطا ولم تطب
وتارة ذا يراع دونه خطرا ... اذا انتضاه شبا الصمصامة الحدب
اطاعه كل معنى رائق حسن ... واختاره كل لفظ شائق عجب

ومن رسائل تزجيها مدبجة   كالحور ترفل في اثوابها القشب
ما كنت ابغي اذا كفي بها ظفرت   مطارف الخز ذات الوشي والعصب
تعني بـ « مصر »، ومن ابنائها نفر   تعني بهم ، وهم يعنون بالرتب
ان يطلبوا عندها فخرا فقد خدعوا   الفخر بالفضل ليس الفخر باللقب
او يبتغوا زينة فيها فقد وهموا   ما زينة المرء غير العلم والادب
فليتقوا الله في « مصر » بلادهم   « كنانة » الله ذات المجد والحسب
بات المرابي مع الخمار يسلبها   هذا المقول وهذا خالص النشب
حامت صنوف الرزايا حولنا فرقا   واصبحت «مصر» في سور من الريب
لولا الشبيبة ما طاف الرجاء بنا   وحسن سعيك ما حنت الى ارب
جزيت عن «مصر» خيرا انها بلد   لا يحصد الشوك فيه غارس العنب

تطلع محمد فريد حوله ، عام ١٩٠٨ ، بعد ان اصبح رئيسا للحزب ، الى رجل يتابع معه نضاله لوطني ، ويحمل عنه اعباء رئاسة تحرير جريدة « اللواء » وادارة سياستها فلم يجد اكفأ من الشيخ عبد العزيز جاويش (١٨٧٢ – ١٩٢٩) الذي تعرف عليه ، عام ١٩٠٥ ، في مدينة الجزائر ، اثناء انعقاد مؤتمر المستشرقين ، والذي كان يعمل ، منذ ١٩٠٦ ، مفتشا في وزارة المعارف .

والشيخ جاويش من عائلة بنغازية . ولد ونشأ بالاسكندرية ، حيث درس ايضا في جامع الشيخ ابراهيم . فلما بلغ السابعة عشرة ، انتقل الى القاهرة ليلتحق بالازهر ثم بدار العلوم . فلما تخرج عين مدرسا .

غير ان الشيخ جاويش ، ذا الثقافة الاسلامية العربية ما لبث ان تعرض بعد ذلك للثقافة « الانجلوساكسونية » مدة سنواته التي قضاها دارسا في جامعة « بورورد » اولا ، ومدرسا في جامعة « اكسفورد » ثانيا ، فأضاف بهذا الى علمه بطبيعة البريطانيين كمحتلين ، خبرته اياهم كشعب وكمفكرين .

ولم يكن الشيخ جاويش ، حتى اسناد ادارة جريدة الحزب الوطني اليه في ٣ – ٥ – ١٩٠٨ ، عضوا في هذا الحزب ، ولكنه – كما يقول سالم عبد النبي قنيبر في كتابه القيم عن الشيخ – « كان من القوة والصلابة بحيث استطاع ، في وقت قصير ، ان يبعث القلق في نفوس القائمين على مصالح الاحتلال في مصر ، ويدفعهم الى محاكمته ، ولما يمض الشهر الاول لتوليه تحرير « اللواء » في قضية سياسية ، كانت من القضايا المهمة في ذلك العهد . »

ذلك انه على اثر قيام فتنة الشيخ عبد القادر ، بناحية « الكاملين » بالسودان ، وقتل عدد كبير من اتباع هذا الشيخ ، وجر عدد اخر الى المحاكمة ، كتب جاويش في « لواء » ٢٨ – ٥ – ١٩٠٨ ، مقالة بعنوان « دنشواي اخرى في السودان : ٧٠ مشنوقا و ١٣ سجينا » ، تلاها في عدد ٣١ – ٥ بمقالة « الحكم على اتباع الزعيم عبد القادر » .

وقرأت لندن المقالتين ، وابرقت في الحال الى القاهرة بمحاكمة جاويش . فاستدعي الرجل ، وحقق معه ، وصدر في ٨ – ٧ الحكم ببراءته من تهمة الخبر الكاذب في المقالة الاولى ، وبمعاقبته بغرامة قدرها عشرين جنيها عن تهمة اهانته وزارة الحربية في المقالة الثانية . ولم يرض جاويش عن الغرامة فاستأنف ، كما استأنفت النيابة لقلة العقوبة . وكان نتيجة الاستئناف ان حكمت المحكمة ببراءة جاويش من التهمتين . وعلى هذه البراءة يعلق الرافعي فيقول : « كانت هذه القضية فوزا كبيرا للحركة الوطنية ، وجاء الحكم فيها ضربة شديدة اصابت هيبة الوزارة » .

ولا يمر عام على هذه القضية حتى تستدعي النيابة جاويش ثانية وتقدمه للمحاكمة على ما جاء في مقالته « ذكرى دنشواي » التي نشرها في « لواء » ٢٨ – ٦ – ١٩٠٩ ، وبعد سماع مرافعة النيابة ودفاع الشيخ ، حكمت المحكمة ، في ٥ – ٨ – ١٩٠٩ ، على الشيخ بغرامة قدرها اربعين جنيها . واعاد الشيخ الكرة ، فاستأنف الحكم ، كما استأنفته النيابة كذلك . ولكن ، كم كانت دهشة الشعب واستياءه عندما سمع هذه المرة ، ان محكمة الاستئناف قضت ، في ٢٥–٨ ، بتعديل حكم الغرامة الى حكم بالحبس ثلاثة اشهر ، وبأن نقض هذا الحكم الاستئنافي قد قضي برفضه ايضا في الشهر التالي .

وتتعمد الوزارة ، فترسل ، يوم ٢٥ – ٨ بالذات ، انذارا الى « اللواء » بخصوص مقالات شديدة كانت الجريدة قد نشرتها مؤخرا . وكان هذا الانذار اول انذار صادر لصحيفة ، بعدما احيت الوزارة ، قبلها بخمسة اشهر بالتمام ، « قانون المطبوعات » القديم ، المقيد لحرية الكتابة .

لهذا ثار الرأي العام ، وبعث ببرقيات احتجاج ملأت اعمدة صحف الحزب الوطني ، كما « بادر الشعراء الى ابراز مشاعرهم وعطفهم على الحركة الوطنية ، وما اصابها من الاضطهاد في شخص الشيخ جاويش » .

ولم يكن ايليا ظاهر ابي ماضي اقل وطنية ، في هذه المناسبة ، من احمد نسيم او الشيخ علي الغاياتي مثلا . اذ اننا نجده ينظم قصيدة تنشرها « اللواء » في ٤ – ٩ ، تحت عنوان « الى بطل الوطنية » ، خاطب فيها عبد العزيز جاويش في سجنه قائلا :

لئن حجبوك عن مقل البرايا   فما حجبوا هواك عن الصدور
وان تك قد حبست وانت حر   فكم في الحبس من اسد هصور
كبير القوم اكثرهم خطوبا   لذاك رميت بالخطب الكبير
لقد اعليت قدر السجن حتى   احب السجن سكان القصور
ولا عجب اذا اسكنت فيه   فكم في الليل من قمر منير
تعددت الطيور فلا حبيس   سوى الفرد الجميل من الطيور
يقول الشامتون : «السجن يزري»   لئن صدقوا فبالجاني الكفور
وما في صحبة الاشرار عيب   على الداعي الى ترك الشرور
فصبرا يا نزيل السجن صبرا   فما عرف الهناء سوى الصبور
وحسبك عطف هذا الشعب فخرا   وحسب عداك توبيخ الضمير

وازداد الشعب عطفا على الشيخ جاويش ، فتبرع الكثيرون لعمل وسام ذهبي مرصع بالاحجار الكريمة، قلدوه

صبابات

*

خبريني ، كيف يشقى من لــه … من جنى عينيك هذي البسمات
خبرينـي ، كيف يظما من غـدا … عيشه ترويــه منك النظرات
كيف اشفى ونعيمـي مـاثل … بين جفنين لفـاها همسات
هي من دائـي دواء وانــا … بـين كفيـك تناديـني النجاة
ما الهنـاءات التـي ينشدهـا … شاعـر قصـت جناحيه الحياة
غير صفـو منك ارجـو ورده … في صباباتـي ، وحسبـي قطرات
ويكفيـك مصـيري كـله … وعيـوني من مصـيري قلقات
حسـب قلبـي ان مـا يربـطه … بالـوجود المر هـذي اللفتـات
هدهدي الشـوق الذي أرقـني … واعـدلي ، فالعـدل ترعاه الرعاة
وهبي قلـبي نصيبـا فـانا … من رعـايا الحسن تحلولي الهبات
أسمعيني نفمـة تعزفهـا … همسـات تتغنـاها اللهـاة
اسمعينـي ، انني احيـا عـلى … أمنيـاتي ، وكياني امنيـات
أسمعينــي ، فيقيني ظـامىء … ليس ما يرويـه نيل او فـرات
انمـا يرويـه من فيـك الرضى … انمـا ترويــه منك النفحـات
يـا ضياء القلـب ، ان حلت بـه … ظلمـات قاتـمات حـالكـات
أسمعي سمعي وعينـي معـا … فعيـوني رانيـات مصغيـات

القاهرة — احمد عبد المجيد

اياه « اعترافا بوطنيته الصادقة » في احتفال اقاموه لـه يوم خروجه من السجن .

على ان السجن الي ودعه جاويش فجر ٢٢ ـ ١١ ـ ١٩٠٩ ، عاد ففتح للشيخ ابوابه ، في ٧ ـ ٨ ـ ١٩١٠ ، ليقضي فيه ثلاثة اشهر اخرى ، عقابا على كلمة « الشعـر والشعراء » التي قرظ بها ديوان « وطنيتي » للشيخ علي الغاياتي ، احد محرري جريدة « اللواء » .

والحق ان هذه الكلمة التي ظهرت اولا في جريـدة « العلم » بتاريخ ١٦ ـ ٦ ـ ١٩١٠ ، ثم صدر الغاياتي بها ديوانه عند نشره ، لم تكن لتستحق محاكمة وعقوبـة ، ولكنها حكومة محمد سعيد التي قرأت في تقريظ الاستاذ الشيخ ، وفي تقريظ محمد فريد لنفس الديوان ايضا ، اشياء لا نقراها نحن في التقريظين .

وخرج جاويش من سجنه فـي ٤ ـ ١١ ـ ١٩١٠ محفوفا بالحفاوة ، لتصله ، ضمن التهاني ، قصيدة مـن ابي ماضي المعجب به ، عنوانها «نجوى شاعر »جاء فيها :

« عبد العزيز » تحية من شاعـر … ما قال الا اطـرب الجمهورا
ان شـاء زف لك اللآلىء احرفا … او شاء ساق لك النجوم سطورا
نفسي فداؤك وهي نفـس حرة … تابى الهوان وتكره التصغـيرا
لما حبست حبست طرفي ان يرى … وكتمت من الم الفراق سعـيرا
قالوا : « شهور لا تطول وتنقضي» … يا ويحهم سمـوا السنين شهورا
لا غرو ان طال الزمان مع النوى … ليس اليسير مع البعـاد يسيرا
ما شان قدرك منـزل انزلتـه … انى اقـام الحر كان كـبيرا
فلقـد وجدت السيف يقطع مغمدا … حذرا ، ويقطع حده مشهـورا
والبدر يجمل سـافرا ومقنعـا … والليـث يعظـم مطلقا واسـيرا
حتى م يشمت حاسـدوك ولا ارى … لهم عـلى ايـامهم تخـييرا
مـا دام هذا الدهر يعقب صفوه … كـدرا ، ويعقب عسره التيسيرا
لا يسلم الانسـان من آفـاتـه … حـتى يكـون مع الاثير اثيرا
فاصفـح عن الواشين شيمة قادر … فلانـت اسمح ما تكون قديـرا
واعد الى الاقـلام سالف مجدها … والى الصحافـة عزهـا المشهورا
وانفـض من الاحقـاد افئدة الورى … واملا قـلوب الناشئين شعورا

واشنطن — جورج ديمتري سليم



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

في البلاد المقدسة ..

اثارت الزيارة العظيمة ، التي قام بها اخيرا حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز .. الى مصر .. ولقاؤه مع السيد الرئيس المؤمن محمدانور السادات ... في الاسكندرية .. وما جرى من مقابلة شعبية رائعة للضيف الكبير .. وما انتهت اليه المحادثات من توثيق للروابط الاخوية التاريخية بين البلدين .. اثار كل ذلك في نفسي كوامن الذكريات .. كما وجدت ذلك مرتبطا اشد الارتباط ، بالموضوع الذي بدأته في الحديث السابق من الحصاد .. عن ذكرياتي « في رياض النبوة » ... ولهذا آثرت ان اصل حبل الحديث .

في عام ١٩٤٦ .. وفي شهر يناير من ذلك العام .. حدث تطور مفاجيء في السياسة بين البلدين التاريخيين .. واعلن ان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، يزور مصر .. وقد تمت الزيارة على اروع ما تكون ، وكان من آثارها ان نظمت قصيدة ، تفضل استاذي المرحوم احمد امين بنشرها في مجلة « الثقافة » .

كانت القصيدة ، الى جانب ما احتوت عليه من تحية حارة للضيف الكبير ، تعلن من بين سطورها عن شوق جامح للسفر الى البلاد المقدسة ، وتصور سابق لما فيها من معاهد كريمة ومواطن غالية ، تاريخية ،ومعاصرة.

وهذه ابيات من مطلعها :

ماجت مواكبه ، ولاح لواؤه — ملك .. تهلل في الوجوه لقاؤه
وتسابق الوادي اليه حفاوة — بقلوبه قبل العيون جلاؤه
ابن السعود ! ويا له من موكب — سعد الزمان به ، وفاض هناؤه
لم تلق مصر ضيوفها يوما كما — لقيته ، او هز الحمى نزلاؤه
هذا الثرى الابدي .. اصبح موطنا — لمن الرمال المؤمنات .. وطاؤه
المجد والعز المنيع .. عقاله — والفضل والشرف الرفيع ..رداؤه

ومنها في ذكر ما قام به الملك عبد العزيز آل سعود من اعمال ، واصلاحات ..

ولقد بنى عبد العزيز .. موئلا — في الملك .. تم جلاله ورواؤه
ملك يغار على الحنيفة قلبه — في العاملين قليلة نظراؤه
من شعلة الايمان اضرم عزمه — ومن السداد تجوهرت اراؤه
هو حارس الحرمين كم بهر النهى — اقدامه ، وسقى السيوف مضاؤه
كالليث .. لم يولج عليه عرينه — لمهابة ، او روعت صحراؤه

وفي نهايتها دعوة للضيف والمضيف ، ان يعملا معا لمجد العرب والعروبة .

الشرق ان لم تنصراه بقوة — متخاذل الخطوات قل رجاؤه
والدين ان لم تأخذا بيمينه — متثاقل الصلوات .. مات دعاؤه
والله لا يرضى لدين محمد — في الارض الا ان يعز لواؤه
فتعهداه بنهضة روحية — يبقى سناها خالدا .. وسفاؤه

ومضى عام وبضعة اشهر ، واذا بي مدعو الى السفر الذي كنت اتطلع اليه .. لا لزيارة قصيرة ، ولكن لاقامة طويلة ، ومهمة عمل محببة الى النفس .. وهي التدريس، ونشر التعليم ، والمشاركة بالجهد المتواضع البسيط ، في وضع اللبنات الاولى .. لنهضة عربية عظيمة ، لم يكن قد تبين بعد الى اي مدى تصل.. ونحو اية آفاق عالية تتجه ..

قضيت في المملكة العربية السعودية .. في ذلك الوقت الباكر .. نحوا من ثلاثة اعوام.. من اوائل عام ١٩٤٧ الى نحو اواخر عام ١٩٤٩ .. واديت ما كلفت به من عمل ، وسعدت بالمشاركة في الحركة الادبية ، قدر المستطاع .. وفي اوائل العام الدراسي الثاني ، في شهر نوفمبر ١٩٤٨ .. كان جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، العظيم ، يقيم في قصره بظاهر مكة المكرمة .. بعد اداء فريضة الحج .. والتمس فضيلة الشيخ محمد بن مانع ، مدير المعارف السعودية وقتئذ ، مقابلة كريمة .. لتقديم الاساتذة المصريين ، وطلب الي فضيلته ان اشارك في اللقاء .. فالقيت بين يدي العاهل العظيم ، قصيدة ما زلت اذكر طرب جلالته ، وهو يستمع اليها في مكبر الصوت ، طربا حقيقيا .. دلني على هذه الروح العربية الاصيلة ، التي تعرف حسن الاصغاء للشعر ، لسان العروبة الناطق الاصيل ..

وهذه ابيات من مطلع القصيدة :

بك ، لا بيوم العيد ، تاه الموسم — واماج ساحتك الحجيج الاعظم
يتشوقون لطلعة وضاحة — غراء ، ليس لها بعرشك توأم
كالشمس .. افردت السماء لنورها — فتغورت عند الشروق الانجم
ان كانت الصحراء تعرف صبحها — فنهارها لولاك ... لا يتكلم
او كان الصحراء تعرف ليلها — فظلامها لولاك .. لا يتنسم

انت الذي منح البطاح وجوده   هذا الجمال .. وثغره المتبسم
انت الذي منح البلاد نعيمها   بل تستقل ، وتستعز ، وتنعم
تبني لها المجد القوي دعامه   مجد العروبة .. في يديك .. مدعم

وكانت الحرب يومئذ قائمة في فلسطين ،وللسعودية جيش مقاتل يشارك في المعركة الاولى .. وكانت بطولة الملك عبد العزيز ، مما لايجهله احد ..

عبد العزيز ! وتلك اشرف دعوة   هذا لواؤك في السماء مخيم
النصر معقود عليه ... كانما   جبريل تحت ظلاله يتقدم
والسيف في يمناك اقطع باتر   لمعانه من غير لمس ... يهزم
انت المفرق في الوغى اقرانه   وابو الفوارس ، والكمي المعلم
ملك الابوة قد اقمت جديده   فزها القشيب ، وعز فيه الاقدم
هذي جنودك في البلاد قوية   تغزو .. وخيلك في الثغور تحمحم
كم صولة لك في العدو جريئة   لو ذاق اهونها اليهود .. لاسلموا

ولم يكن هذا البيت الاخير شطحة بعيدة .. وانما كان مثار الاهتمام به ، هو ما في كلمة « اسلموا » .. من ايحاء بالتسليم والهزيمة ..

وكانت للملك عبد العزيز .. اصلاحات معروفة .. من نشر الامن والعدل في البلاد ، ورفع لواء الدين والاخلاق الاسلامية الكريمة .. ونشر العلم والمعرفة .

والامن .. ما بين الربوع نشرته   فانجاب عهد في الربوع مذمم
طهرت انحاء الجزيرة ... كلها   للسالكين ، فمنجد او متهم
وشهرت في الاعراب سيفك مصلتا   حتى تشفع بالبراءة مجرم
هذا الطريق الى المدينة آمن   ذهب المحل به .. وجاء المحرم
والعدل .. ما بين العباد ضمنته   آي مفصلة ، وقول محكم
واذا تحريت العدالة قاضيا   ونصرت مظلوما .. فمن يتظلم
والدين .. قد ايدته ، ونصرته   ففدا وانت له المعز ، المكرم
مثل لشعبك ، اذ تصلي صدورهم   وتصوم عن خير الطعام ، وتطعم
والعلم .. في ليل البقاع اشعته   فانجاب عن صبح العقول المظلم
في كل منزلة بغرسك معهد   والفرس عن طيب الثمار .. سينجم
يسقي بساتين الحمى .. ورياضه   بيد الفضائل .. عالم ، ومعلم
لتسير شمسك في البلاد منيرة   ويذوب منها للجهالة طلسم
ان حطم الاعداء سيفك بادرا   فالجهل اول معتد .. يتحطم

وكانت هناك للعاهل العظيم ، اصلاحات اخرى كثيرة ، يعرفها الشعب ، ويتحدث بها في كل مكان ..

وسوابق الاصلاح .. انت شرعتها   وابن السعود .. لمثلهن مقدم
ظللت في المسعى الحجيج فاقبلوا   ودعاؤهم لك كالطيور تحوم
وسقيت بالماء النمير المشتهى   شعبا بجدة .. ظامئا ، يسترحم
واقمت بابا . للعتيق ..مجددا   شهد الحطيم بما اقمت وزمزم
ومنحت روح العصر .. حر نصيبها   سمحا ، ومحض الخير ما تتوسم
سيارة في الارض » او طيارة   في الجو .. ريع لها البعير المرزم
فانحاز منفلت الخطام .. مشردا   نسل الحديد .. بملكه .. يتحكم

وكان لا بد اخيرا من ذكر السياسة الخارجية ، وما كان للعاهل الكبير فيها من اثر بعيد ..

اما السياسة .. فانفردت باية   منها ، يحار لها اللبيب الاعلم
قول ، اذا افصحت عنه افحمت   دول .. لها القول الجريء المفحم
يترقبون ، فان نطقت فمنطق   فصل ، وان اسرجت فيهم الجموا
الغرب هابك في عرينك رابضا   ودهاة امريكا .. برأيك سلموا

وتختم القصيدة ، بدعوات وابتهالات :

لك يا طويل العمر .. ذكر طيب   لهج الفؤاد به ، وعززه الفم
كانت جراح في البلاد كثيرة   فاصابها من راحتيك البلسم

لما سموت بحق ملكك ملهما   وافاك بالحق البيان الملهم
انت الذي نظم الوقائع سيفه   عقدا .. فويح الشعر.. ماذا ينظم
فاسلم لشعبك .. والعروبة كلها   شعب .. لماضي السيف ، لا يتثلم

القيت هذه القصيدة بين يدي العاهل الكبير .. سعيدا بالقائها .. وبحسن انصات جلالته لها ... ثم انصرفت الى عملي بالمعهد العلمي السعودي ، ومدرسة تحضير البعثات .. لاتم ما بدأت من المشاركة ، في تلك النهضة الكبرى ، المرجوة على يد الابناء .. في مستقبل الايام .

ثم جاء شهر يناير من عام ١٩٤٩ .. وعاد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز .. (جلالة الملك فيصل المعظم) .. وكان يومئذ وليا للعهد ، واميرا لمكة ، ووزيرا للخارجية .. وكانت عودته من الامم المتحدة ،حيث كان مندوبا للحجاز في مجلس الامن ، والقى فيه بيانا تاريخيا رائعا ، دافع فيه دفاعا مجيدا عن فلسطين ، وقضيتها .. وفرحت مكة المكرمة يومئذ ، بعودة اميرها ، الذي كانت تكن له الحب والتقدير .. فاقامت الاحتفالات الكبيرة لاستقباله ، وتكريمه . وقد نظمت في تلك المناسبة قصيدة ، وجهتها اليه ..

وهذه ابيات من مطلع تلك القصيدة :

باهر الشمس في السماء بهلل   ام امير .. يحبه الشعب ..اقبل
انه فيصل .. العزيز ، المرجى   فهنيئا لامة العرب .. فيصل
خرج الشعب مالئا كل صوب   تتلاقى اجياد .. فيه .. وجرول

واجياد وجرول حيان كبيران معروفان ، من احياء مكة المكرمة ..

وزها البيت .. بابن من مسح الار   كان منه .. وجانب الستر ..قبل
امل العرب .. حجة وبيانا   كلما ضم ساسة القوم محفل
ودهاء معمق .. يسبر الفو   ر .. وراي فصل ،وصوت مجلجل
وذكاء الى السرائر .. نفا   ذ .. كما تنثر السهام ، فتنصل
واعتزام مهما تعاظم امر   مر .. لا ينثني ... ولا يتحول
ولقد اوضح الحقائق منه   منطق باهر ، وقول مفصل

ثم توجهت اليه بالحديث ، تقديرا لما قام به من دفاع مجيد عن القضية الفلسطينية ، ولما بت الح له من مواقف رائعة في مستقبل الدفاع عن هذه القضية .

يا امير الحمى .. وقرة عينيه   .. ومن عطر الحجاز ، وجمل
ما كفاك العطور في الحي حتى   فاح مسك في الخافقين وصندل
ان سعيا .. وهبته لفلسطين   وتحريرها ... لسعي مجمل
ما تخيلتمنك الا عظيما   وفؤادي ... حقيقة ما تخيل
كلما طال في السياسة باع   لبني الغرب .. كان باعك اطول
واذا قال ساسة العرب قولا   وارتأوا رأيهم .. فانك اول
ان في الارض للعروبة .. اقطا   با .. عليهم كما عليك المعول
فمسيرا الى الامام حثيثا   ربما باء خاسرا من تعجل
ولئن مر امسنا في ظلام   فغد مشرق الصباح مؤمل

وتمضي القصيدة بعد ذلك في التهوين من شأن اسرائيل .. والتنديد بالمخذلين في القضية .. والتبشير بنهضة عربية جديدة ، ستقف في وجه الاعداء الحقيقيين لا تلين لها قناة ..

ايريدون ان يقيموا لاسرا   ئيل .. ملكا ؟ فشأن احمد اكمل

ابو الحسن محمد علي الطاهر

●

يا طاهر الروح ، بل يا طاهر البدن   تعيش ذكراك طيبا يا ابا الحسن
يا اعظم الناس جودا بعد حاتمه   ان لم تكن خاتم الاجواد في الزمن
مجاهدا عشت مثل السيف منصلتا   دون العروبة لم ترهب ولم تهن
عن العروبة من اقصى مغاربها   حتى المشارق ، من نجد ومن يمن
جميعها كنت منها واقفا ابدا   تذود عنها بلا خوف ولا وهن
حياك بياك في الدارين ، يا رجلا   لله عاش وللاسلام والوطن

القاهرة   محمود ابو الوفا

لن يقيم اليهود في الارض ملكا   وعد صدق لنا ، ووحي منزل
شرد الله جمعهم ، فهو جمع   من بقايا الشعوب فوضى ، مشكل
غشى الذل شعبهم ، فهو شعب   بين هذا الورى اذل ، وارذل
فلكيف الاذى عن العرب شعب   هو ان تلتقي به العرب .. اضال
انما تلتقي سيوف بني العر   ب .. بمن دمر السلام ، وزلزل
وبمن اتقن السياسة ، والمكر..   ومن جار في القضاء ، وبدل
نحن تحت العجاج .. وجها لوجه   مع ذاك المراوغ ، المتنصل
ليس بالاعزل الذي سيفه الايمان ..   لكن من سيفه اللؤم اعزل
ليس من ينصر العشيرة بالحق ..   كمن فرق الصفوف وخذل
ليس من يبذل الضحايا فداء   مثل من ينفق الوعود ويبذل

وتنتهي القصيدة بهذه الابيات :

وحدة العرب .. فائز من رعاها   خائب من رمى بها عند مقتل
فاستعينوا بوحدة .. وثبات   وتواصوا بالحق والصبر امثل
يجعل الله عونه .. لجنود   صدقوا .. وهو عالم .. حيث يجعل
واذا امهل الاله .. عبادا   فهو جلت صفاته .. ليس يهمل

ثم يمضي من الزمن خمسة وعشرون عاما ..

ويتولى الامر في السعودية جلالة الملك المعظم ، فيصل بن عبد العزيز .. ويقوم فيها باصلاحات ما كان يتخيلها خيال مفكر ، ولا تستوعبها احلام شاعر .. اين تظليل الحجيج في المسعى .. من توسيع الحرمين الشريفين ؟. اين معاهد العلم الصغيرة ، التي كانت تحضر للبعثات .. من الجامعات العلمية الكبيرة في الرياض ، وجدة .. وغيرها ؟ اين سوابق الاصلاح الاولى .. من النهضة الحضارية الشاملة ، في العلم والبناء ، في الجيش والطيران ، في الدين والاخلاق .. في كل شيء ؟

ثم يجيء اليوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م ... والعاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ .. يقوم الرئيس المؤمن البطل محمد انور السادات .. بالعبور العظيم .. ويشهر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز .. البطل .. سيف البترول .. وتنهزم اسرائيل .. لاوة مرة .. ويخضع الغرب .. لاول مرة كذلك .

ان اسرائيل قد اسلمت اذا .. بالمعنى الذي ورد في القصيدة الموجهة الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، قبل ربع قرن من الزمان ..

وان دهاة امريكا .. قد « سلموا » ايضا .. برأي فيصل .. كما لم يسلموا من قبل براي والده ، عبد العزيز .

وها هو جلالة الملك فيصل ، في زيارة بالاسكندرية .. يتلقاه فيها مضيفه العظيم السادات ، بالترحاب .. ويلتف الشعب العربي حولهما ، يشق هتافه عنان السماء .

واكتب تحية شعرية قصيرة .. للعاهلين العظيمين .. واذا بها .. دون قصد مني .. على الوزن والقافية.. من القصيدة السابقة ..

تقول البرقية الشعرية ..

التقت مصر والحجاز .. فعاشت   دولة للاخاء ، وللود تعمل
من رحاب النبي ، او من ذرى نجد الى النيل ..   عهدها ما تحول
وبناء يشاد للعرب عال   يشمل الكون نوره حين يشمل
وانتصار على مزاعم اسرا   ئيل .. قام السادات فيه وفيصل
ان سعيا بلفتما .. لتقيما   وحدة العرب .. لهو سعي مجمل

ولسعي العاهلين ، والشعبين ، والنهضتين .. بعد ذلك .. بقية من حديث ..

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

ديار الصامتين

شهدت ديار الصامتين فهاجني   سكون بدنيا الصامتين مهيب
مقابر خرساء اللسان نواطق   بابلغ ما يفري الحشا ويذيب
تجيش عظات النفس فيها دوافقا   بما لم يقل في الواعظين خطيب
فضاء ثقيل الضغط يهوي كصخرة   تؤودك منهارا وانت صليب
فضاء مخوف الصمت حتى كأنه   وحوش بادغال عليك تلوب
هنا الحي ميت،اذ يرى كيف ينتهي   فليس له فوق التراب دبيب
هنا الميت حي اذ يثير لواعجا   لها هجمات في الحشا ووثوب
هنا بقعة سحماء كم بعثت اسى   تلظى ، ودمعا كالغمام يصوب
وما لضياء في التراب اشعة   وما لنسيم في الضريح هبوب
فكيف يعيش الميت فيها كأمسه   ويسال عن اعماله فيجيب
اخال الردى نوما طويلا تعددت   به فترات الحلم وهي ضروب
ترى الميت جسما هامدا في ترابه   واحلامه تمضي به وتؤوب
اخال امورا كالضباب تكاثفت   ومن لي ان تجلى ؟ وهن غيوب
لعمري لقد حاولت سبحا بزاخر   تلاطم فيه الموج وهو غضوب
يدوي به الاعصار ارعن هائجا   وقد آزرته شمال وجنوب
أريد اجتلاء الشط كيما يمدني   بعزم وشط التائهين جنيب
امثلي يغزو الاحجيات محللا   وقد خاب قبلي نابغ ولبيب
شهدت ديار الصامتين ولم ازل   اروح كعهدي بينها واجوب
ولي عندها غصن تقصف ذاويا   وكان مراد العين وهو قشيب
تقبله الشمس الخلوب بنورها   على انه بين الغصون خلوب
فيورق فينانا ويهتز ناضرا   فتهفو اليه اعين وقلوب

تخطر في ظل الشباب منعما   فرف له زهر ورفرف طيب
هوى ترتع الاشواق بين ظلاله   ومسرحها طي الشغاف رحيب
هوى عاد في كف المنية حسرة   تعالى لها بين الضلوع نحيب
يهال عليه الترب عند شبابه   ألا مهلة حتى يحين مشيب
ارى قبرك الساجي فأجهش واجما   وقد ملكتني رعدة ووجيب
لئن يك وارى منك هيكل فتنة   لقد حملته اضلع وجنوب
وليس ندى ما ينضح الفجر فوقه   ولكنه دمع عليك صبيب
يطالعه بدر السموات صامتا   فتظهر فيه جهمة وشحوب
رأى اخته تذوي فايقن انما   لكل سنا بعد البهاء غروب
كأن رباب الافق حاك مظلة   تشرد عنها القيظ وهو لهيب
يمر بها عند الظهيرة وانيا   وئيد الخطا ما ان يكاد يغيب
اذا اجتمعت بيض الرباب تجاهشت   حنينا فانداء الرباب سكوب
شقيقة نفسي ، رائع اي رائع   ذهابك والغصن النضير رطيب
ولولا بنيات عليك اعزة   لما قد حملت العيش وهو كروب

الرياض ـ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

كان رأس سلوم الصغير ملقى على فخذ امه بينما تكور جسده بجانبها على الحصير وقد شخصت عيناه السوداوان الواسعتان الى وجهها تصغيان اليها بشوق وهي تقص احاديثها الشائقة الغريبة على النسوة المجتمعات عندها حول « الكانون » يشوين البلوط ويصغين مأخوذات الى قصص الجن والمردة التي تناطح رؤوسها السحاب . وبكى اخوه الرضيع الراقد على حجر امه فسكتت عن الكلام ريثما تخرج ثديها تسكته به . وتطلعت اليها الاعين تلح عليها بمتابعة حديثها الشائق ... وابتسمت هي معتزة بنفسها . ليس بينهن من تفوقها في رواية الحكايات واقاصيص الجان المخيفة . كلهن في الضيعة يعترفن بهذه الحقيقة .

كان معظم حديثها تلك الليلة عن القطط . ان في القطط « عرقا » من الجان .. وقالت توضح حديثها لواحدة منهن بلهجة الخبير الذي يعرف قيمة عمله :

— لا يا عيني .. انا لم اقل ان القطط هي من الجن ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن الجان كثيرا ما تدخل المنازل وتعيش فيها باشكال القطط . ان اهل المنزل ، بالطبع ، لا يعرفون هذا ، ولكن كثيرا من الناس كان يلاحظ ويعرف ، ولكن ، بالطبع ، لا يستطيع ان يتكلم ..

واومأت النسوة مؤمنات على كلامها فهذه حقيقة بديهية . ولكن سلوما رفع راسه متسائلا :

— ولكن ، لماذا لا يستطيعون ان يتكلموا يا امي ؟

ولم تلتفت امه اليه وتابعت قصتها عن قط كان يسكن منزل عمة لها .. وحاول ان يكرر سؤاله ولكن فتاة مراهقة كانت تمد عنقها بلهفة تستمع وهي تأكل التين اليابس همست له بسرعة :

— هس .. انهم لا يتكلمون لئلا يتلبس الجان .

وارجع الصبي رأسه على فخذ امه وهو يجمع ساقيه الممدودتين بخوف بينما هذه تتابع قصتها عن ذلك القط الاسود الذي كان يختفي كل ليلة عند صياح ديك السحر ولا يرجع الا عند طلوع النجمة ... وكيف ان عمتها انتابها الارق ذات ليلة لتراه وتسمعه بعينيها واذنيها يكلم قطا اسود مثله ثم يختفيان معا من امام عينيها بطريقة لم تستطع تفسيرها .

واثناء هذه السهرات ، كان سلوم يغفو على فخذ امه وقصصها ما زالت تملأ راسه الصغير فكانت تحمله اخر السهرة فتضعه في فراشه برفق وهي تحكم الغطاء حوله جيدا خشية البرد ..

كان في الحي الذي يسكن فيه



بقلم بلقيس حوماني

سلوم منزل مؤلف من حوش يحيط به سور طيني منخفض وغرفة واحدة وكان للغرفة نافذة واحدة تطل على الزقاق ، فكان سلوم ووالدته يضعون الحجارة تحت اقدامهم اسفل تلك النافذة كي يمكنهم التلصص على « ذيب » العجوز ذي الحدبة المخيفة والذي كان يعيش في ذلك الكوخ منفردا منفيا من كل مخلوق الا من قطه الاسود الضخم . وكان الصبية يرمون الحصى من النافذة او من فوق السور ثم يتراكضون هاربين



وشتائم الرجل العجوز تهدر وراءهم وهو يهز عصاه الغليظة . وكانت حدبة « ذيب » تثير روع سلوم الصغير وعندما يكون بمفرده ، كان يقف طويلا مطلا من النافذة ، وقد وضع ذقنه على حافتها ، متأملا العجوز وحدبته العجيبة التي تصعد الى ما فوق راسه . وكان « ذيب » غالبا ما يكون جالسا في فراشه تحت اللحاف واحيانا متحركا ببطء يقضي شؤونه المختلفة وراسه يكاد يصل الى ركبتيه . وكان لا يفتأ يتحدث الى قطه الاسود تماما كما يتحدث الى اي انسان اخر ، لو كان معه انسان اخر .

كان هذا القط يفتن سلوما بشكل خاص فهو لا يبدو له ككل القطط . ابدا لم ير من قبل قطا مثله لا يحوي جلده بقعة واحدة بيضاء . وكان يأخذه امرا طبيعيا ان قط رجل شاذ عجيب مثل « ذيب » لا بد ان يكون شاذا عجيبا هو ايضا .

وتطورت فكرة سلوم عن القط الاسود ذي العينين الخضراوين بعد حكاية امه تلك الليلة . انه يعرف الان جيدا ان هذا القط لا يمكن ان يكون الا من الجان .. لقد رآه مرارا يستمع الى صاحبه العجوز الذي كان يتحدث اليه كما يتحدث الانسان الى انسان . لا شك انه هو الذي خدمه ويأتي له بالطعام لان ذيب الاحدب لا يخرج من بيته ابدا .

واصبحت زيارات سلوم لذيب وقطه الاسود يومية . وكان جسده يقشعر وهو يسير نحو البيت المسور ونافذته الفاغرة فاها ابدا عن سواد قاتم ولكن ، كانت تدفعه الى الذهاب لهناك قوة قاهرة تحمله على هذه الزيارات التي تزرع الرعب في اعماقه .

وشيئا فشيئا ، اخذ تأثير «ذيب» العجوز وحدبته العجيبة يتضاءل امام سحر القط الاسود او بالاحرى الجني المتخذ شكل القط .. واصبح وقوف سلوم امام النافذة انما لمراقبة القط

وحده . وبدت له حركاته وتصرفاته غريبة غير عادية .. انه لا يشبه اي قط اخر فهو لم ير من قبل قطا في مثل حجمه ولونه وشعره الاسود الطويل الكث هذا .

واصبح القط الاسود يجذبه اليه بسحره الغريب .. فهو يمضي الساعات يراقبه ، بفضول وحذر ، رائحا غاديا بخطواته البطيئة المتكاسلة او نائما في حجر سيده او متكوما على الفراش المنبسط دوما على الارض لا يكاد يبدو منه في الغرفة المظلمة سوى عينين براقتين كنجمتين .

وبالتدريج ، اخذت هاتان العينان تبعثان الرعب في قلب سلوم . انهما لا يمكن ان تكونا لسوى جني .. كان فيهما نوع من الخبث والوعيد .. وكان هذا الخبث يتجلى اكثر ما يكون على القط عندما يغمض عينيه . ان سلوما يعرف عندئذ ان القط يتصنع النوم لكي يثب عليه بغتة اذا ما ادار هذا له ظهره.. وكان يؤكد فكرته هذه ان القط كان احيانا يفتح عينا واحدة لينظر اليه ثم سيغمضها ثانيا .. انه ، طبعا ، يراقبه ..

وكانت هذه التأملات تنتهي عادة عندما يقبل بعض الصبية ليرمي الحصى على ذيب او في حالة مرور مار في الزقاق ، عندها سرعان ما يقفز سلوم ويبتعد راكضا وقد تخلص مؤقتا من السحر المنبعث من القط .

وقف سلوم على كوم الحجارة تحت نافذة « ذيب » يتطلع الى الغرفة كالعادة . وبدا له المكان غريبا فان القط لم يكن موجودا وكذلك لم يكن ذيب الاحدب .. والفراش ، لاول مرة ، كان ملموما ومتكوما في جانب من الغرفة . كانت الغرفة خالية منهما .. اين يمكن ان يكونا قد ذهبا ؟ وطال وقوفه دون جدوى ، وتعبت قدماه من الوقوف ، وحاول ان يترك النافذة ولكن خاطرا ومض في ذهنه اقشعر له بدنه . لا بد ان الجني قد اخذ صاحبه الاحدب وذهبا معا الى مساكن الجن تحت الارض .

وبلحظة ، افلت حافة النافذة واطلق ساقيه نحو منزله وهو يتلفت خلفه كل لحظة . ولكنه رجع في اليوم التالي وصعد على كوم الحجارة يتطلع الى الغرفة .. لا بد انهما رجعا الان . ولكن المنظر ازداد غموضا فقد اختفى الفراش الان واختفت معه « الكبكة » التي كانت تتدلى من السقف تحمل اطباق الطعام ولم يبق في الغرفة من معالم السكن اثر .

وتغلب الفضول في نفس سلوم على الخوف ولم يفكر كثيرا وهو يضع مرفقه على حافة النافذة ويصعد قدمه في اثرها متمسكا بقضيب الحديد الذي يعترض النافذة بيده الاخرى الى ان استقر جالسا على الحافة . انه الان يستطيع ان يرى بوضوح كل معالم الغرفة التي كانت الان خالية تماما الا من صرة خلقة موضوعة في الفجوة من الجدار التي تكون في البيوت القروية عادة اوضع الفراش . واستغرق سلوم في التفكير . لا شك ان القط قد اخذ ذيب الاحدب معه الى تحت الارض واراد ان ينزل من النافذة فقد زادت العتمة . وتطلع حوله بشك قبل ان يحرك قدميه عندما حانت منه التفاتة الى الصرة الموضوعة في الفجوة اوقفت الدم في عروقه . لقد كان القط الاسود نفسه هناك كأنما قد انشق عنه الجدار . كان متكوما على نفسه ككرة سوداء ضخمة بينما عيناه مصوبتان الى سلوم وهما تبرقان شرا وخبثا .

وجمد الصبي في مكانه واتسعت عيناه على القط وحاول ان يصرخ ولكن صوته احتبس في حلقه واخذت عيناه المستديرتان من الخوف تحدقان في القط برعب قاتل .. ها قد اتى اخيرا .. اتى فجأة بدون ان يشعر هو به .. ككل الجان الذين تتحدث عنهم امه . ها هوذا ينظر اليه لا يحول عينيه عنه .. هاتان العينان البراقتان .. انه يريد ان يسحره بهما .. لقد عرف بدون شك ان سلوما يعلم بأمره فجاء ليتلبس به ويأخذه معه الى تحت الارض .

واغمض القط عينيه برهة ثم فتح عينا واحدة فازداد رعب سلوم . انه لن يستطيع ان يستدير ليهرب الان والا وثب عليه هذا من الخلف .. ها هوذا يفتح عينيه الاثنتين الان ليصوب اليه نظراته الشريرة التي لا يمكن ان تصدر الا من جني .

وازداد الظلام من حول الصبي ، واظلمت الغرفة تماما الا من تلك الكرة السوداء تبرق في وسطها نقطتان مضيئتان سمرتاه في مكانه فهو لا يستطيع حراكا .. ان بريقهما ينصب في عينيه فيحس ازاءه بدوار غريب .. ان السحر يتملكه.. وتحركت الكرة السوداء فجأة مقتربة نحوه والعينان يزداد بريقهما ... وارهفت اعصاب الصبي وتملكه ذعر طاغ .. ان احاسيسه تنصب كلها في هاتين النقطتين المضيئتين اللتين تقتربان منه بثبات واستمرار وهو لا يستطيع حراكا .. لقد اصبح كتلة جامدة خرساء لا اثر فيها لحياة ..

واستمرت نقطتا الضوء في الاقتراب منه وهما تتسعان وتتسعان والكرة السوداء تكبر وتنتشر امام وجهه والظلام يزداد من حوله ، الى ان حجبت المرئيات امام عينيه ولامست وجهه .

ودوت في ذلك الحي صرخة ممتدة حافلة بالرعب كتلك التي تصدر عن نائم اصابه كابوس . ووضعت امراة كانت مارة جرة الماء عن راسها وركضت في اتجاه الصرخة وهي تسمي بالرحمن الرحيم وانتصب كلب كان نائما وقد اشهر اذنيه .

وعلى الدرب ، تحت نافذة ذيب الاحدب الذي مات منذ يومين ، كان صبي صغير منبطحا على وجهه وقد

ضياع

●

بينما كانت الحديقة تصفي   لقطاف الخريف غصن الكروم
كان خط المغيب يرسب، يذوي   خلف جنح من الضباب البهيم
عبر البرد راعشا فاقشعرت   مقل القطر في ثنايا الغيوم
عاد للشارع الكئيب حديث   أومض القار كالتماع السديم
كانت الاوجه الكثار تهادى   ثم تطفى ضوضاؤها كالهشيم
وجنات تضيء ، تخفت ، تخبو   وظلال على الرصيف القديم
يومض الدرب تقشعر رياح   ينضح الحزن في الصدى المكلوم
كنت اقتات من رواسب نفسي   انشق الزهر في ثنايا الجحيم
بعض تبغ وقطرة في جبيني   ومن البرد عالم في صميمي
ظل خطوي يدق صخرة درب   موحش البعد ذي خيال دميم
واختفى النبض كدت اشهق لكن   مال راسي للحظة عن رميم
واستقرت محاجري فوق هدب   كان كالطيف في المحيا الوسيم
ظل كالشمس في الزحام وصيي   حضن الكون كاحتضان النعيم
بسم الافق والكآبة ذابت   واستوى الهدب في ضباب همومي
كان شيئا من السماء بعيدا   وانتعاشا لخاطري المهزوم
رحت اعدو له احس جذوة روحي   تنشق الارض ، عاطرات النجوم
رحت اعدو « ونث فصل غزير   اومض الروح والسحاب» وجومي
وتضاءلت واختفيت كتبغي   هطل الستر من حرير النسيم
وتضاءلت واختفيت ، طوتني   خطوات واوجه من رسومي

بغداد   هاشم الصائغ

انساب من رأسه خيط من الدم .

في منطقة الجنوب ، من لبنان ، اسم هو الان اشهر من نار على علم .. هو « سلوم القط » .. رجل مأخوذ لا يفتأ يجوب القرى والجبال الجرداء . شبه عار .. طويل اللحية بالغ القذارة وقد فقد احدى عينيه. انه ينام في المغاور ولا يرى الا نادرا .. وعندما يحدث ان يمر باحدى القرى ، ترى جيشا من الصبيةتتبعه بالحجارة تارة وبالاحسان تارة اخرى .. والامهات يخوفن به اطفالهن .. اسكت حتى لا يسمعك سلوم القط ..

اما سبب تسميته بالقط فيقولون انه يرجع الى ان سلوما لا يكاد يستقر ساعة في مكان ما ، حتى ينتفض واقفا ويطلق ساقيه للريح وهو يصيح برعب : «القط يا جماعة .. القط .. القط .. » .

انه هارب دوما ، تائه ابدا .. ولكن بعض العجائز يؤمن بالخرافة ويفسرن هذه التسمية بان جنيا بشكل قط قد تقمصه مذ كان صبيا صغيرا ولم يخرج منه منذ ذلك الحين

بلقيس الحوماني



محمد علي الطاهر

محمد علي الطاهر

١٨٩٤ — ١٩٧٤

بقلم فوزي عطوي

* * *

لما بلغ الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة نبأ انتقال رفيق جهاده المجاهد العربي الكبير محمد علي الطاهر الى الرفيق الاعلى ، رثاه ببرقية مؤثرة اراها مثالا نادرا للتقدير والوفاء ، وخلاصة بليغة للكفاح البطولي الذي نذر « ابو الحسن » نفسه ، رحمه الله ، في سبيله ، سعيا وراء الكرامة القومية ، في اي صقع من اصقاع الوطن العربي الكبير .

ومما قاله الرئيس التونسي انه « صديق الكفاح المخلص الوفي المجاهد العربي الصادق محمد علي الطاهر ، ذلك الرجل الذي قضى حياته مناصرا لسائر القضايا العربية بقلمه ولسانه وماله .

ولن انس تلك الفترة التي توطدت فيما بيني وبينه الاخوة في الجهاد ، وقد كان اول من عرفته من المجاهدين العرب الصادقين ، فكان لي خير انيس في دار الغربة ، ونعم المعين في التعريف بالقضية التونسية لدى الصحافة العربية ، وبقي على حق عهده ، وجميل وفائه ، وخالص صداقته التي لم تزدد على مر الايام الا رسوخا وتوطدا . . »

اما الهيئة العربية العليا لفلسطين ، فقد نعته ببيان ورد فيه : « فقدت فلسطين وطنيا كبيرا هو الاستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة « الشورى » ، التي كانت لسان صدق للقضية الفلسطينية ، واشتهرت بتصديها للاستعمار البريطاني والمطامع الصهيونية ولاعداء القضية الفلسطينية دون هوادة ، كما اشتهرت بدفاعها عن القضايا الاستقلالية للاقطار العربية والاسلامية . وكان الفقيد « ابو الحسن » مقيما ببيروت منذ عشرة اعوام (١)، وكان ناديه فيها ملتقى الوطنيين والفضلاء من العرب والمسلمين . . »

ذالكم هو الرجل الفذ الذي خسره العرب ، وافتقدت فلسطين فيه رجلا مجاهدا في سبيلها ، عاملا من اجل قضايا العرب ، راضيا لنفسه دور حبة العقد ، في احكام الروابط بين رجالات العرب ، من سياسيين ، وادباء ، وصحفيين ، ومجاهدين ابرار ، فكان في بيروت ، كما كان في القاهرة ، صاحب البيت المشرع الابواب امام كبار العاملين في حقول الفكر والوطنية .

لقد ولد هذا الصديق المجاهد عام ١٨٩٤ ، في مدينة نابلس الفلسطينية ، وتلقى دراسته الاولية في مدارسها ، وفي حوالي العشرين من عمره سجن طويلا في معتقل الجيزة ، وكانت الحرب العالمية الاولى قد ذرت قرنها ، فلما ان وضعت الحرب اوزارها عاد الى الديار الفلسطينية ليكمل مسيرة نضاله ، لكن مضايقات البريطانيين حملته على الرجوع الى مصر ، حيث عكف على الجهاد في سبيل قضية فلسطين ، ونال امتيازا صحفيا بانشاء جريدة اسماها « الشورى » فصدر اول عدد منها في القاهرة بتاريخ ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ ، واستمرت بعد ذلك في الصدور ، لكن تعطيلها مرة بعد مرة بسبب اتجاهاتها التحريرية لم يكن ليجعل محمد علي الطاهر يقف مكتوف اليدين ، بل عمد الى اصدار صحف بديلة ، في فترات تعطيلها ، ومنها : الرقيب ، الناس ، الشباب ، المنهاج ، الجديد ، العلم المصري .

وكان لا بد لمحمد علي الطاهر من ان يدفع ثمن مغالاته في طلب الحرية ، فقد القي عليه القبض في خريف عام ١٩٤٠ بايعاز من البريطانيين ، لكنه في الرابع عشر من نيسان (ابريل) ١٩٤١ ، اي بعد شهور من اعتقاله ، تنكر بلباس « ابن البلد » ، وهرب من مستشفى السجن ، واختفى قرابة عام كامل ، حتى اذا ما كانت حادثة ٥ شباط (فبراير) ١٩٤٢ الشهيرة التي ارغم البريطانيون فيها الملك فاروق على اقالة حكومة حسين سري وتكليف مصطفى النحاس بتأليف حكومة جديدة ، تزي الطاهر بزي امير عربي ، واستطاع في حادثة طويلة طريفة ، ان يدخل على مصطفى النحاس في مكتبه برئاسة الوزارة ، ويستسلم اليه ، وهو عالم مسبقا ، بما له من الدالة والصداقة عليه ، ان النحاس سيعمل ما بوسعه لاصدار العفو عنه ،، وهكذا كان .

لكن ابا الحسن الذي اصبح يحن الى السجن ، او بالاحرى اصبح السجن يحن اليه ، عاد بأمر من رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادي الى السجن في شهر تموز (يوليو) ١٩٤٩ ، حيث اودع معتقل هاكستب البريطاني

(١) الصحيح انه كان يقيم في بيروت منذ عام ١٩٥٥ اي حوالي عشرين عاما .

في صحراء السويس ، حتى اذا ما تولى حسين سري رئاسة الوزارة ، اصدر امرا مؤرخا في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٤٩ بالافراج عنه فعاد الى منزله في القاهرة .

وكانت جريدة « الشورى » قد تعطلت منذ الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان عاش صاحبها في القاهرة اربعين عاما ملأ الدنيا فيها جهادا وجلادا ، انتقل نهائيا الى لبنان عام ١٩٥٥ حيث اقام في منزل بشارع « جان دارك » ، بالقرب من الجامعة الاميركية في بيروت ، وهنا تابع رسالته الوطنية ، ولبث ينمي صلاته وصداقاته ، حتى لقد ندر من رجالات العرب من زار بيروت ، ولم يعرج على ابي الحسن لاداء واجب الزيارة ، واللقاء بنخبة المفكرين والوطنيين .

وفي شهر آب (اغسطس) ١٩٧٤ أصيب بمرض خطير نقل على اثره الى مستشفى الجامعة الاميركية ببيروت حيث اسلم الروح صباح يوم الخميس ٢٢ آب (اغسطس) ، ووري الثرى في مقبرة الشهداء بحرج بيروت في موكب مهيب، تقدمته فصائل من رجال الثورة الفلسطينية ، وعدد كبير من سفراء الدول العربية والشخصيات اللبنانية والعربية ، بعد ان نعته الى العالمين العربي والاسلامي حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ومنظمة التحرير الفلسطينية والهيئة العربية العليا لفلسطين وسفارة المملكة المغربية في لبنان وسفارة الجمهورية التونسية في لبنان ، وانسباؤه .

ولمحمد علي الطاهر عدد كبير من المؤلفات ، بعضها طبع ، بينما ينتظر بعضها الاخر همة رفاق نضاله واصدقائه وقادري جهاده ، ليبصر النور ، ومن هذه المؤلفات : نظرات الشورى (١٩٣٢) ويقع في ٢٧٠ صفحة — ذكرى الامير شكيب ارسلان (١٩٤٧) في ٥٥٠ صفحة — اوراق مجموعة (١٩٤٨) في ٥٢٠ صفحة — معتقل هاكستب (١٩٥٠) في ٧٠٠ صفحة — ظلام السجن (١٩٥١) في ٩٠٠ — رسائل بورقيبة — خمسون عاما في القضايا العربية (وقد توفي المؤلف قبل انجاز طباعة الجزء الاخير منه) .

ولقد يحسن بي ، برا بصداقة الرجل الكبير ، ووفاء لذكراه ، ان انوه ببعض ملامح صلتي به، منذ ان كنت اسير متئدا ، في اولى خطواتي الى عالم الفكر ، فلقيت منه ، رحمه الله ، كل تشجيع وتأييد .

ان اولى صلاتي بمحمد علي الطاهر تعود الى صيف ١٩٥٩ ، اذ كان نادي خريجي الجامعة الاميركية قد دعا الى حفلة استقبال بمناسبة صدور ديوان « حكاية مغترب » لصديقي الكبير الشاعر المهجري الاستاذ جورج صيدح ، فالتقينا هناك بنخبة من رجالات الفكر والجهاد ، فيهم بولس سلامة ، وميخائيل نعيمة ، وبدوي الجبل ، وخليل رامز سركيس ، وقسطنطين زريق وغيرهم . ثم ان الاستاذ صيدح قدمني الى رجل جليل ، يتحدث بثقة ، وطلاقة ، وحرارة ، ويحيي اكثر الحاضرين تحية معرفة قديمة ، فاعجبت بشخصيته القوية ، لاول وهلة ، وكان هذا الرجل هو المجاهد محمد علي الطاهر الذي سرعان ما عاتبني ، رغم معرفتي الاولى به ، لانني لا احضر ندوته الاسبوعية التي يعقدها في منزله مساء كل يوم اثنين من الاسبوع ، فوعدته بتلبية الدعوة .

وفي الاثنين الاول ، بعد تلك الحفلة ، اتفقت مع الصديق الكبير جورج صيدح حيث وافيته الى منزله الذي كان قائما قرب شارع فؤاد الاول في بيروت ، وانطلقنا معا في زيارتين : اولاهما للصديق الكبير الشاعر القروي رشيد سليم الخوري الذي كان ، يومذاك ، طريح الفراش في مستشفى « سان شارل بوروميه » الالماني ، وثانيتهما لابي الحسن محمد علي الطاهر .

في تلك الامسية ، ازددت بالرجل اعجابا على اعجاب ، فقد لمست بنفسي كيف ان هذا الرجل الذي يحمل على منكبيه اعباء السنين الملأى بالجهاد الوطني ، يستطيع ببساطة متناهية ان يجمع في ندوته الاسبوعية وزراء وسفراء وشعراء ومناضلين وصحفيين ومحامين ، يتطارحون القضايا ، على اختلافها ، كاني بهم وقد تعددت جنسياتهم ، يشكلون جامعة دول عربية مصغرة ، وينتهون على ود والفة ، في وقت كانت تهب على دول العرب رياح من الجهات الاربع !

وبعد ايام ، كان صديقي الحقوقي الكبير الاستاذ محسن سليم يتصل بي في مكتبي ، وكنت يومذاك اعمل صحفيا في جريدة « بيروت المساء » التي تحولت اليوم الى مجلة ، منهيا الي ان محمد علي الطاهر اودع لي عنده امانة هي عبارة عن كتابه القيم « ظلام السجن » وعليه كلمة اهداء رقيقة كريمة .

وللذكرى ، اسجل هنا انني قصرت ، يومذاك في حق الرجل ، اذ كتبت في رسالتي اليه ، بعد ان تسلمت الكتاب : « وان كتابكم بين يدي ، اطالع سطوره بين الحين والحين ، وعندما افرغ من قراءته في القريب ، ان شاء الله ، سأوافيكم بدراسة متواضعة عنه ، انشرها في احدى مجلاتنا او صحفنا ، راجيا ان اكون بذلك مساهما في التقدير الذي يكنه لكم المخلصون من ابناء العروبة » ومن اسف ، ان هذا الوعد المؤرخ في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ لم يتحقق الا الان ، وبعد خمسة عشر عاما ، حيث اراني مؤرخا في لمحات سريعة لبعض مناحي النضال القومي الذي عرفه الرجل ، طيلة حياته الملأى بالمآثر .

ولقد لبث ، طيلة معرفتي به ، ورغم تباعد فترات اللقاء ما بيننا ، يسدي النصح والعظة الحسنة ، وينوه بما يرى فيه لمحة من الخير والفضل ، مؤكدا بذلك على اصالة انسانية ، وخلق عربي صميم .

فيا صديقي الغائب الكبير ،

هذه الكلمات ، وقد ابحرت بك سفينة العمر الى عالم البقاء الابدي ، هي قبس من نبلك وفضلك ، وعليك سلام ، في رحاب الله .

فوزي عطوي

انـة شاعر

تنهال المصائب علي احيانا ، فلا استطيع دفعها عني الا بالشعر ، وهـذه احـدى القصائد التي تغلبت بها عـلى الكـوارث

●

تنكر لي دهري فعفى الامانيـا   وخلفني في قبضـة البؤس آسيا
وصب علي النـازلات جـوارفـا   تزلزل اركاني ، وتصمي شبابيـا
فانهض كيمـا اتقيهـا بمرهـف   من العزم جبار ، يدك الرواسيـا
فتجتاحني من حيث اجهل كرهـا   اتى عن يميني،ام اتى عن شماليا
وأرزح مضنى تحت عبء انقضاضها   وليس سوى الرحمان يدري بحاليا
اصون عن الناس الهموم التي ابتلى   بها الله نفسي،والخطوب الدواهيا
فيحسب اصحابي وقد قرأوا الرضى   على الوجه اني رافل في صفائيـا

احصن نفسي بالتفاؤل مشرقـا   فينبك حصني بالتشاؤم عاتيـا
وادرع الصبر الجميـل لاتقـي   سهام شقاء، يوطن النفس صاديا
ولولا اعتقادي بالقضاء ، وخالـق   رحيم ، لاحييت الليالي شاكيـا
واطلقت من فيض الشؤون زواخرا   من الدمع، يهمي فوق خدي قانيا
ليغسل همـا ، قد انـاخ بكلكـل   على القلب، لا يبقي من الصبر باقيا
ولم يبق لي دمع أذيـل هتونـه   وقد غمر الدمع السخين القوافيا
غمست يراعي في دم القلب، فانبرت   تحبر فوق الطرس شعري مراثيا
ففي كل بيت انة تبعث الاسـى   وفي كل معنى آية من شقائيـا
وقد صرت من فيض المصائب ناعبـا   وما عدت استهوي الخمائل شاديا
وكم رحت استجدي السعادة ضارعا   فارتد عنها كاسف البال، باكيـا
ولم ادر، والبأساء تحطم اعظمـي   «اثنتين صليت الضحى،ام ثمانيا»
وحاولت نفض الهم عني ، فخانني   زمـان بلايـاه تشيب النواصيـا
وراودت طيف الموت ، علي ارى به   طبيبا من الدنيا الخؤون مـداويا
فاعرض عني خـائفا من مصائبي   لان بها جمـرا من الضر كـاويـا
وامسيت ، لا دنياي طابت ثمارها   ولا راحة الاخرى اقالت عثـاريا
ولم تبق لي في ما اعانيه حيلـة   فيا ليت شعري هل يفيد بقائيـا

لقد كان نحسي منذ ايفعت صاحيا   وسعدي ـ لو تدرون ـ مازال غافيا
تقاضاني الخلق القويم حشاشتي   واوردني حلمي الرزايا الطواغيـا
وما شان نفسي،مذ ولدت،وعورة   ولا كان طبعي، رغم بؤسي،جافيا
ولا كان خلقي،والخطوب تنوشني   وتفري اصطباري،اربد اللون نابيا
فلم راح دهري يصطفيني بظلمـه   فلا يرسل الويلات الا عـذاريـا
ازل كربتي يا رب، واسمع شكايتي   والا ارحني باختـتام حياتيـا

محمد العدناني



عبد الرزاق الهلالي

عبد العزيز الثعالبي في بغداد

بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاتـه

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

تمر بحلول شهر تشرين الاول من هذه السنة ، الذكرى الثلاثون لوفاة الزعيم التونسي الكبير المرحوم الشيخ عبد العزيز الثعالبي (١) هذا الزعيم الذي له في كتاب النضال والجهاد، صفحات نيرات ، لا فرق في ان يكون جهاده هذا ، ضد الاستعمار الفرنسي او الايطالي او الانكليزي .

فهو بالرغم من كونه مناضلا تونسيا ، قوي الشكيمة، صلب العود ، فقد كان في الوقت نفسه ، يرى الخير كل الخير ، في وحدة كلمة المسلمين ، ووقوفهم صفا واحدا ضد هذه القوى الاستعمارية الغاشمة ، تشهد له بذلك جولاته العديدة التي قام بها خارج بلاده ، فزار استانبول والحجاز والهند وامارات الخليج العربي ، والعراق وسوريا ومصر ، قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، فترك له خلال هذه الرحلات ، كثيرا من المعجبين ، المقدرين لفضله وعلمه وجهاده !

ومن هؤلاء المعجبين ، شاعر العراق الكبير معروف الرصافي ، فانه حين سئل عن الخطباء الذين اعجب بهم قال (٢) « فمن خطباء العصر الذين عرفناهم ، عبد العزيز التونسي ، وقد اجتمعت به في القسطنطينية قبل بضع سنين ، فرايته من ابين الناس ، وكنت معجبا بحسن بيانه جدا ، وهو يتكلم العربية الفصحى دون تلجلج ، ولا تلعثم . وقد اخبروني انه يخطب بالفرنساوية كما يخطب بالعربية » .

وكانت زيارة هذا الزعيم الكبير الى العراق في مطلع تشكيل الدولة الجديدة فيه ، من الاحداث القومية البارزة التي مثلت اصدق تمثيل قوة الروابط ووحدة الشعور بين مشرق الوطن العربي الكبير ومغربه .

ففي صيف عام ١٩٢٥ ، كان الشيخ الثعالبي في الهند ، وقد تلقى وهو في هذا البلد ، دعوة للقدوم الى العراق والعمل فيه ، فلبى هذه الدعوة شاكرا ، فغادر الهند مارا بامارات الخليج العربي ، فزار كلا من مسقط ودبي والبحرين والكويت ، قبل ان يتوجه الى العراق ، فكان في هذه البلدان العربية موضع حفاوة وتقدير .

وبتاريخ ٢٠ تموز سنة ١٩٢٥ ، وصل الى بغداد ، فحل في « الفندق الملوكي » وما ان استقر به المقام فيها ، وذاع خبر وصوله ، حتى تقاطر للسلام عليه والترحيب به ، رجالات بغداد وقادة الراي فيها من الادباء والكتاب والشعراء ، الذين يعرفون صفحات حياة هذا الزائر الكريم في سجل الكفاح والنضال !

ثم ما هي الا ايام حتى تنادى ، شباب بغداد ، واجمعوا امرهم على اقامة حفل تكريم تقديرا منهم لجهاده وخدماته في سبيل العروبة والاسلام . وهكذا وفي مساء يوم ١٤ـ٨ـ١٩٢٥ اقيم في دار « رويال سينما » احتفال كبير ، حضره الوزراء والاعيان والنواب والادباء ، وتكلم فيه عدد من الخطباء والشعراء ، مشيدين بجهاده ونضاله وعلمه وفضله ، وكان على راس هؤلاء ، شاعرا العراق الكبيران ، معروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وكانت قصيدة الاستاذ الرصافي زاخرة بالمشاعر القومية ، خاطب فيها تونس ، قائلا :

أتونس ان في بغداد قوما ... ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم واياك انتساب ... الى من خص منطقهم بضاد
ودين اوضحت للناس قبلا ... نواصع آية سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة اهل قربى ... وان قضت السياسة بالبعاد

ثم يذكر ، ابنها البار ، عبد العزيز الثعالبي ويذكر

---

١ ـ ولد الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثعالبي في تونس سنة ١٨٧٤ فلما شب انغمر في ميدان الجهاد ضد الاستعمار ، فاصدر جريدة « سبيل الرشاد » ودخل حزب « تونس الفتاة » وسافر الى فرنسا وقام بنشاط كبير فيها واصدر بالفرنسية كتابه « تونس الشهيدة » ثم القى القبض عليه وسجن في تونس وبعد ٩ اشهر اخلي سبيله ،فراس بعد خروجه الحزب الجديد « حزب الدستور ». وفي سنة ١٩٢٣ غادر بلاده مكرها متنقلا بين مصر والحجاز والهند والعراق. وفي سنة ١٩٣٧ عاد الى وطنه وبقي فيه حتى وفاته سنة ١٩٤٤ .

٢ ـ الرصافي : آراؤه اللغوية والنقدية . الدكتور احمد مطلوب القاهرة ١٩٧٠.

جهـاده قـائلا :

أتونـس ان مجدك ذو انتمـاء الى عليـا نـزار او ايـاد
لنـا بثعالبيك خير مـلق عـلى اشتاتنا حبـل اتحـاد
واكبر حـامل بيـد اعـتزام لحـب بـلاده علم التفـادي
واسمى من سمـا ادبـا وعلما وافصـح من تكلم عن سـداد

وبعد ان يذكر قدرته الخطابية ، اشار الى طوافـه في العالم الاسلامي قائلا :

تغرب ضاربا في الارض يبـغـي مدى من دونـه خرط القتـاد
قطوف في المفاوز والموامي (٣) وطوف في الحـواضر والبـوادي
وكـان طـوافه شرقـا وغربـا لغـير تكسب وسـوى ارتفـاد
ولكـن سـاح لاستنهـاض قـوم حكـوا بجمـودهم صفة الجماد
يغار على العروبـة ان يراهـا مهددة المصـالـح بالفسـاد

ثم يختم قصيدته مرحبا به في بغداد قائلا :

الى ان جـاء حاضرة نمـاها ابو الامنـاء ذو الشرف التـلاد
فكـان نزولـه في ساكنيهـا نزول المـاء في المهج الصـوادي
فيـا عبد العزيز اقـم عـزيزا بحيـث الارض طيبـة المـراد
يحييك العـراق برافـديـه تحية مخلـص لـك بالـوداد

هذا وكنا نود اثبات بعض ما انشده الاستاذ الزهاوي في هذا الحفل ، الا اننا لم نعثر مع الاسف على هـذه القصيدة في ديوانه الذي طبع في سنـة ١٩٢٨.(٤)

في جامعة آل البيـت .

قلنا ان الاستاذ الثعالبي قدم الى العراق بـدعـوة خاصة ، فلما وصل بغداد ، صدر الامر بتعيينه استـاذا للفلسفة الاسلامية في جامعة آل البيت التي كانت قـد فتحت ابوابها منذ سنة واحدة ، وقد باشر عمله في هذه الجامعة واخذ يلقي محاضراته على طلابها ، باحثا لهم عـن العلل والاسباب التي ادت بالمسلمين الى الانقسام علـى انفسهم وتفرقهم شيع ومذاهب ، مؤكدا في الوقت نفسه على ما احدثته الفلسفة اليونانية القديمة من انقلاب فـي المفاهيم وطرق التفكير ، وما توارثه المسلمون عن الابـاء الاولين من العقائد الراسخة .(٥)

وقد تركت محاضرته واسلوبه في التدريس اثـرا كبيرا في نفوس طلابه ، وغيرهم ممن تسنى لهم حضـور هذه المحاضرات ، فزاد اعجابهم به وتقديرهم له ، وآمنوا ان زعامته لابناء قومه في (تونس الخضراء) لم تـأت ، اعتباطا ، بل جاءت وفاقا لما يمتلك من مؤهلات في القيادة ومقومات في الزعامة . »

وعاس هذا الزعيم العربي في بغداد خمس سنين ، كان له عند علية القوم فيها ، وعلى راسهم الملك فيصـل الاول ، المكانة المحترمة والراي المسموع ، فلا عجب اذا ما اصبح بفضل ما يتمتع به من مؤهلات ، قطب الرحى ، في مجالس بغداد ومنتدياتها ، وان تكون له مع العديد مـن رجالات السياسة والادب والاجتماع في هذا البلد الامين، علاقات ود وصداقة ، متينة الاواصر قوية الجذور .

ويحدثنا تاريخ حياته في بغداد ، عن مواقفهالعديدة، التي استغل فيها هذه العلائق في اصلاح ذات البيـن والقضاء على عوامل العداوة والبغضاء التي كانت قائمـة بيـن بعض اصدقائه .

ومن تلك المواقف ، موقفه مع الاستاذ الزهاوي ، بعد سقوطه بالقرعة من عضوية مجلس الاعيان ، اذ سعى جاهدا لدى صديقه المرحوم ياسين الهاشمي كي يرشحـه من جديد لهذا المجلس ، الا ان سوء حظه ، لم يوفق الثعالبي في تحقيق امنيته ، ولذلك بقي الزهاوي حانقا على الحكم ومن فيه الى اخر لحظة من حياته .

ومن مواقفه ، تلك ، سعيه مع غيره من اهلالخير ، لازالة ما كان قائما بين الشاعرين الكبيريـن الزهـاوي والرصافي ، من عداوة وبغضاء ، ولذلك حين قام الاستاذ محمود صبحي الدفتري ، باقامة حفلة شاي في داره (٦) جمع فيها هذين الشاعرين الكبيرين ، كان هو في مقدمة الحاضرين والمباركين لهذه الخطوة الكريمة . وفـي هذه الحفلة ، التي ضمت عددا كبيرا من ادباء العراق (٧) ، القى الاستاذ الزهاوي قصيدته التي وجهها الى الشباب ، ومطلعهـا :

بثوا بالسنـة لكم من نـار مـا في جماجمكـم من الافكـار

اما موقفه في العملّ على تحسين العلاقة بين الملـك



٣ ـ الموامي . جمع المومـاه والموماة وهما بمعنى (الفلاة)

٤ ـ لعل السبب في ابعاد الزهاوي لهذه القصيدة عن ديوانه راجع الى الحيلة التي اتبعها منظمو هذه الحفلة ، اذ قالوا له ان خصمـه « الرصافي » سوف لا يشترك في هذه الحفلة فلما تيقنمن ذلك بالمنهـج المطبوع ، اعد قصيدته ، فلما القاها ، اعلن عريف الحفل عن قصيـدة الاستاذ الرصافي، فلما سمع الزهاوي ذلك ، ترك القاعة وخرج غاضبا!!

٥ ـ راجع « بيان موجز عن جامعة آل البيت » بقلم امين الجامعة الاستاذ فهمي المدرس بغداد ١٩٣٠.

٦ ـ اقيمت مساء يوم ٨ ـ ١٢ ـ ١٩٢٨

٧ ـ لقد حضر هذه الحفلة كما هو واضح في الصورة الاساتذة: الجالسان على الارض رفائيل بطي وتوفيق السمعاني. الجالسـون على الكراسي: عبد العزيز الثعالبي ، معروف الرصافي ، جميل صدقي الزهاوي ، الشيخ عطا الخطيب . الواقفون : علي محمود ، بهاء الدين سعيد ، جميل المدفعي، طه الراوي، موفق الالوسي ، رؤوف الكبيسي، عبد المسيح وزير، ابراهيم كمال ، محمود صبحي الدفتري ، احمـد الصراف ، طه الهاشمي ، مزاحم الباجهجي ، علي ممتاز عبد العزيز مظفر ، عبد الله الشواف ، محمد بهجة الاثري !!

فيصل الاول والاستاذ الرصافي فقد تحدث عنه الاستاذ الرصافي ، لصديقه الاستاذ سعيد البدري ، وقد سجله هذا في كتابه الموسوم بـ « الرصافي في اعوامه الاخيرة»(٨) وقـال فيـه :

« وقد رغب الشيخ الثعالبي ان تكون لصديقـه الرصافي مثل ما له من حظوة كبرى عند جلالة الملك ... وهو شاعر الامة العربية ومن حقه ان ينال رضى مؤسس الدولة العراقية عنه ، ففاتح الملك في استعطافه هـذا وصادف من جلالته استحسانا ، وامر بالاجتماع مـع جلالته في القصر الملكي . فبلغ الشيخ الثعالبي صديقه الرصافي بهذا الامر ، وان يتشرف بزيارة جلالة الملك المعظم هو والرصافي فقط في موعد حدده جلالته ليلا .

قال الرصافي : ذهبت وعبد العزيز الثعالبي الى القصر الملكي العامر ، ودخلنا غرفة استقبال كبيرة في الطابق الثاني وكان جلالة الملك فيصل الاول واقفـا ، فتقدمت اليه ومد يده فصافحته مصافحة قوية وكـان مبتسماً وتعلو وجهه آثار البشر والسرور . وبعـد ان صافحه الثعالبي امرنا بالجلوس بالقرب منه وكنت انـا عن يمينه والثعالبي عن يساره ثم قال جلالته : اشكر عبد العزيز الذي مهد لهذا الاجتماع فقلت له : الشكر لجلالتكم يـا سيـدي !

ثم التفت الي وقال « يا معروف انني اعتبرك مـن الان احد افراد اسرتنا ، ولا اريد لك الا الخير » فقلت له « يا سيدي هذا شرف عظيم لي من جلالتكم » ثـم تحدثنا حديثا عن الماضي ، وعن الحياة التي قضيتها في الاستانة وفي القدس . ثم قال بعد ان استأذنا جلالة الملك بالانصراف ، ووقفنا مودعين : قال جلالته يخاطبنـي والثعالبي : ارجو ان تكون هذه الزيارة وهذا الحديـث سـرا مكتوما بيننا لا يذاع لاحد ، فلبينا امر جلالتـه وصافحناه وانصرفنا .

قال الرصافي : بعد ان غادرنا القصر الملكي التفت الى صديقي الثعالبي ووجهت اليه كلمات شكر على ما قام به من هذه الوساطة بيني وبين الملك فيصل الاول (٩) .

وهكذا كان الاستاذ الثعالبي ، عنصرا من عناصـر الخير ، فلا عجب اذا ما ترك له في العراق سمعة طيبـة وذكـرا حسنـا .

مراقب البعثة العراقية : وحين قـررت الحكومـة ألغاء « جامعة آل البيت » في شهر نيسان من سنة ١٩٣٠، ارتأت في الوقت نفسه الاستعاضة عن ذلك بايفاد بعثـة مؤلفة من (١٨) طالبا ، من طلبة العلوم الدينية الى مصر ، لاكمال تحصيلهم فيها ، على ان يرافـق هـذه البعثـة الدراسية ، مراقب خاص للاشراف على شؤون الطلاب المختلفة في القاهرة .

فلما اتخذت الاجراءات اللازمة لانتخاب طلاب هـده البعثة ، تلقت الحكومة اشعارا من البلاط الملكي ، يفهـم منه « ان جلالة الملك فيصل الاول ، يرغب في ان يكـون مراقب هذه البعثة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي » فصـدر الامر بذلك وفي نهاية شهر ايلول من سنة ١٩٣٠ ، غـادر هذا الاستاذ الجليل بغداد قاصدا القاهرة ، لتولي واجباته فيهـا .

وهكذا غادر الاستاذ الثعالبي ، عاصمة الرشيـد ، بعد ان قضى فيها خمس سنوات كان خلالها موضع تقدير واحترام مختلف الاوساط ، غادرها تـاركا له في بغـداد خاصة والعراق عامة ذكريات طيبة ، ومواقف حميـدة ، لها في سجل تاريخ العراق الحديث صفحات نيرات حرية بالاكبـار والتقديـر !

واليوم ، اذ انتهز هذه الفرصة ، فرصـة مرور ثلاثين سنة على وفاته ، ومرور مائة سنة على ولادتـه ، ارجو ان اكون قد وفيت شيئا من الدين الذي له فـي اعناقنا . رحم الله الثعالبي ، واثابه على ما قدم لامتـه من خدمات ، فقد كان بطلا من ابطال العروبة والاسلام ، لا زعيما تونسيا فحسب .

بغـداد — عبد الرزاق الهلالي

---

٨ ـ صدر هذا الكتاب بالاشتراك مع الاستاذ نعمان ماهر في بغداد سنة ١٩٥٠ .

٩ ـ وقد تحدث الرصافي بعد ذاك عن غضب الملك بسبب نشـر ما دار في هذه الزيارة في احدى الصحف المصرية وكيف انه عاتبه عتابا شديدا ، ولما لم يكن هو الذي بعث بما كتب في تلك الصحيفـة ، فـلا بد ان يكون الكاتب الاستاذ الثعـالبي وقد احدثت هذه القضية قطيعة بينه وبين الثعالبي وقد حاول المرحوم ياسين الهاشمي واخوه طـه وفهمي المدرس وغيرهم ان يوفقوا بينهما ليعيدا صداقتهما الاولى فـلم يفلحـوا .

بناء القصور

بنى لي بعض اصحابي قصورا
من الالقاب لا من « بنكنـوت »
احاول بيعها . من يشتريهـا
لامنحـه الوفـا من نعـوتي
والقـاب غـدوت بها ثريـا
ولكن لا تـدر علـي قـوتي
افضل في ربى لبنـان كوخـا
عليها ، من نسيـج العنكبـوت
فمـا شيدت في دنيـاي بيتـا
وغيري شـاد آلاف البيـوت

بوانس ايرس — عبد اللطيف الخشن

الايراني مثقفاً

بقلم الدكتور محمود السمرة

* * *

اللقاء والفراق ، كالولادة والموت ، كلاهما قدر ومقدور . وكان اول لقاء لي بالعزيز الراحل ابي روشن في اوائل الستينات ، على غير انتظار وتدبير . وكانت تربطني به قبل هذا صلة من بعيد ، هي صلة قارىء بكاتب قصة قصيرة من طراز فريد .

ثم كان اللقاء ، وتوثقت روابط الاخوة بيننا ، واشتدت عراها صافية ، عذبة ، لم يشبها كدر في يوم من الايام .

وابت من سفر ليفجأني نبأ وفاته ، على غير انتظار وتوقع .

كان الفقيد عندي مثلا للانسان المثقف الحق ، الذي وعى التراث الحضاري ، وظهر ذلك في حديثه وكتابته وتفكيره وسلوكه ونظرته الى الحياة والناس ، اذ ليست الثقافة معرفة تحفظ ، وشهادات تجمع وتحنط ، ولكنها وعي تام للتراث الحضاري للانسان ، وعيا يبدو اثره في كل نأمة تصدر عنه ، وفي كل خطوة يخطوها .

ذلك لان الثقافة تزيدنا معرفة بالكون ، وبالانسان ، وبانفسنا .

واشهد انني ما جلست يوما الى ابي روشن الا استفدت منه جديدا : فعنده خبر آخر ما صدر من كتب الفن والفكر في باريس ،وما يمثل على مسارحها .ونتحدث في آخر ما قرانا من كتب ، وما نحب ان نقرأ ، ويستغرقنا الحديث طويلا . هذا ما كان يحدث في كل مرة .

ورغم ولعي الشديد بتتبع اخبار ما تصدره دور النشر الاجنبية من كتب الا انني قلما وقعت على جديد يستهويني ولم اجد عند ابي روشن ، خبرا عنه .

وهذا الوعي الحضاري للثقافة الانسانية ، وللانسان في شتى ظروفه واحواله ، بان بوضوح في قصصه التي تكشف لنا عن جوانب خفية في النفس الانسانية ،وتزيدنا معرفة بالانسان . وهو نفسه يدرك ان هذا هو ما يقوم به عندما يكتب قصة ، فقد كتب كلمة في صدر مجموعته « ما اقل الثمن » جاء فيها :

ما اكثر ما يخيل الي انني كمن يصنع التماثيل ،دابه ان ينحتها ، ويصقلها ، ويضع في عيونها وقسماتها ، ووجوهها ، ومعارفها ، جميعا ، بعض ما يعتلج في صدورها من آمال واوهام ونوازع خير وشر ، ويظل يعمل فيها ازميله مرة ومحكة مرة ، صابرا على الجهد والمعاناة حتى ليكاد يجعلها تفصح عن اسرارها ..

وانا لو لم اكن كاتبا لكنت ، على التحقيق ، صانع هذه التماثيل التي تفصح وتبين ، لفرط ما يستهويني تأمل الشخوص ، واستبطان دخائلهم ، والنظر في اطوارهم واحوالهم ، في اطار من ظروف بيئاتهم واوضاعهم .

ومجموعته القصصية المترجمة « اقاصيص من الغرب »» مثل اخر على سعة ثقافته ، فهي الوان من القصص ، متعددة الانماط والمواطن ، تمثل مذاهبمتعددة في مفهوم القصة القصيرة ، ففيها : الرومانسي ،والواقعي والرمزي ، والسيكولوجي . وهي قصص تدل على ذوق رفيع في الاختيار ، ووعي تام للقصة القصيرة الناجحة ، بما فيها من رسم وتصوير وتحليل لحالات وازمات واحداث ، والانسان دائما هو محورها ، بما فيه من مشاعر واهواء ، ونزوع الى الخير ، وجنوح الى الشر .

وكتابه « ملامح من الغرب » ، ليس كتاب رحلة ،بل هو قبس من حياة انسان مثقف. انه جولة واعية ، لنفس شفافة الحساسية ، في ربوع بعض المدن الاوروبية ، وفي حياتها الفكرية ، والروحية ، والفنية ... حتى المنظر العابر يثير فيه فكرة في الفن ، او رأيا في الادب ، او حوارا حول موضوع يشغل بال المثقفين :

في لندن يقف مشدوها وهو يشاهد « جمعا غفيرا من السياح الخانفس من الجنسين ، بمظهرهم المزري ، والشعور القذرة المسدلة على الوجه والكتفين ، واللحى العريضة ... منظر لا يبعث على العجب وحسب . بل انه يثير التساؤل في كثير من القضايا السياسية ، والاجتماعية ، والحياتية خاصة . ولقد تحب ان تقول مع القائلين انهم صنف من الناس يحتجون على مآسي عصرهم ، ومظالمه ، ولا اخلاقيته السياسية والاجتماعية، ويتخذ احتجاجهم او رفضهم لروح العصر ، ظهورهم بهذه الاشكال ... ولكن ماذا تقول في انحلالهم الخلقي ، واختلاط بعضهم ببعض على شريعة الغاب ، واقبالهم العجيب على المخدرات والمغيبات ؟ الا يضيفون بهذا كله مأساة جديدة الى مآسي عصرهم ؟! »

وفي الانفليد ، في باريس ، حيث يرقد نابليون ، نجد شخصية القائد العظيم ، وما كتب الكاتبون عنه ، وقد قطرت في صفحات قليلة تحدد موقفا منه وهو الذي صاح قائلا يوم انتشى بانتصاراته : « ان المستقبل لي »، فرد عليه شاعر فرنسا الخالد فيكتور هيجو :

« مولاي
ليس المستقبل لاحد
انما المستقبل لله وحده » .

● القيت في حفل تابين الفقيد محمود سيف الدين الايراني الذي اقيم في عمان – الاردن .

خماسيات شعرية

●

لا تلمني اذا شكوت فاني … بين ظفر من الحياة وناب
لي عدو يندس في كل شان … من شؤوني ويشتفي بعذابي
يتخطى الي بابي ويبدي … رايه في خطيئتي وصوابي
اتخفى عنه فيفضح سري … ولو اني وراء ألف حجاب
ليس لي ما حييت منه مفر … فعدوي يعيش في اثوابي

تعب الناس منكم فاستريحوا … واريحوا يا معشر الادعياء
قد هدمتم صرح البيان وشدتم … فوق انقاضه صروح هراء
بنت عدنان امكم فارحموها … انما البر من وصايا السماء
عجبا ينزوي الاصيل ويخلو … للدخيل الهجين رحب الفضاء
لم نخن حرمة التراث ولكن … افسد الشعر كثرة الشعراء

يا رب حرر امتي من نفسها … خاب الرجاء بفجرها البراق
ان السلاسل جمة واخفها … للعارفين سلاسل الاعناق
حار الاساة بدائها . هل من يد … تاتي لها بالقوت والترياق
ما حاجتي النور يملأ مقلتي … وظلام نفسي مالىء آفاقي
عبثا تشيد على الصوارم دولة … ان لم تؤسسها على الاخلاق

لست اذكى الناس يا سيدتي … فلماذا كل هذي الكبرياء
الأن الله لم يبخل على … وجهك البض بحسن وبهاء
تلك منه هبة غالية … لا توفى بشكور وثناء
فاحذري ثم احذري ثم احذري … ان تسيري مرحا بين النساء
لست الا دمية من حجر … ان يكن حسنك من غير ذكاء

بوانس ايرس … زكي قنصل

وفي متحف اللوفر ، حيث يبلغ الازدحام حدا مذهلا ، يقف مذهولا امام الاثار الفرعونية ، وبخاصة امام رأس نفر تيتي ، فيناجي نفسه قائلا : « انه رائعة فنية لا شبيه لها ولا مثيل . لو استطعت انا ان امد يدي الى هاتيك التماثيل المدهشة ، ولو استطعت ان اتناوله واخفيه دون ان يلحظني احد لفعلت .. ولما احسست بحرج او اثم . »

في الباليه المشهورة لتشايكوفسكي تنتهي البجعة ، وهي في القمة ، لم يقعدها العجز .. جاءت الى الدنيا ايماضة خاطفة تألقت في سماء غائمة ثم انطفأت ، وعبرت شعاعا شقت اسداف الظلام ثم خبت ، تاركة وراءها في القلوب عطرا ، واشعاعا ، وصورة حية من فنها ..

وهكذا الفنان .. يجري الزمان عبر قرون وعصور ، ولا يبقى الا ما صنعته يده ، او ابدعت عبقريته .

هكذا كان ابو روشن .

وهكذا سيظل .

عمان ــ الاردن … محمود السمرة

من جديد

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى

جامعة الاسكندرية

قبل هذا اليوم كان اليوم قد ضاع صباه
كان قد شاخ وضاعت رعشة الاصباح فيه
كان يومي قد تراخى
وتردى فوق شطآن الخمود
نسي الشوق ونبض الشوق يسري في تقاسيم رؤاه
بردت اوصاله منذ دهور
كان يومي مثل صحراء جليد

ثم كانت ...
لحظة من عمق احلام توارت ذات يوم
ثم عادت فتراءت من جديد
رقص العمر لها فجرا ولحنا
وطيورا تتغنى
فيعود القلب طفلا
ويعود القفر انفاس حياة
ورفيفا وورود

وتهادى الشوق نبضا
ثم أضحى الشوق طوفانا وفيضا
يتخطى جبل الصمت ويسعى
يتخطى قمم الثلج ويسعى
من دروب الزمن الآسن ياتي
من سراديب شجون نائمات
ختم الظل عليها والجمود

هادرا كان يهز الكون حولي
زاخرا يفرق ليل الامس حولي
يحتوي يومي ، وجداني ، اشتات يقيني
وغيابات ظنوني
دافقا يدفع في تياره وقفة عمر
بين اطلال وجود

آه كم اصبح للساعات معنى
ولضوء الشمس معنى
ولعمق الدكنة الخرساء في الظلمة معنى
وللون البحر والارض الرمادية معنى
ولحزن يحبس الدمعة قسرا عند دقات رحيل
ولخفق القلب في يوم لقاء من جديد
هل عرفت الشوق يا دنياي يسعى من جديد



بقلم حسني سيد لبيب

لم يجرؤ عبد الصبور - صاحب البيت - على تحقيق رغبته القديمة، ويجبر العجوز على اخلاء الحجرة. انه عاجز عن الاهتداء الى طريقة مناسبة، فهي تدفع الايجار الشهري بانتظام، واذا كان يدهش لامر هذه العجوز التي يسيل المال بين يديها دون ان يدري احد مصدره، الا انه يجد في هذا الانتظام ما يمنعه من تنفيذ ما يرغب. سأله ابنه الصغير وديع:

- لماذا تريد طرد العجوز ؟

ابتسم الاب، ولم يشأ ان يجيب. لكن السؤال كان فرصة لطرح السبب ومراجعته. فالعجوز لم تكتف بسكنى الحجرة، انما تعدت ذلك وشاركتهم لوازمهم الحياتية وتطفلت على حياتهم، فأحس الجميع بقلق. ولما لمس الاب قلقهم المتزايد، اخبرهم ان اباه اضطر الى ايواء العجوز اشفاقا عليها، ثم روى لهم عن ابيه ما كان يقوله وهو صغير:

- اشفق عليها ابي من حياة الضياع والتشرد. انها امراة مسكينة ولن يضيرنا وجودها في البيت، وبرغم انها لا تساعدنا في شيء حيث تأبى ان تتعاون معنا في الاعمال المنزلية، وبرغم، اننا لا ننتفع منها ماديا، حيث ترفض سداد اجر اقامتها، برغم كل هذا - هكذا قال ابي - فانها لا تضر.

قال سامح، اكبر الابناء:

- والان تدفع العجوز ايجار الحجرة، لكن ما ابخسه!

تدخل وديع قائلا:

- من الممكن ان تدفع اكثر.

قال سامح في حدة:

- لا.. لا بد من طردها.. انها كالجسم الغريب بيننا. تصوروا انها تفرض علي رأيها، واحيانا تقذفني بكلمات نابية اتميز لها غيظا، فأهم بقتلها، لكني اتراجع خائفا مذعورا، فلم امارس القتل ابدا، واخشى ان الطخ يدي بدماء عجوز فانية.

احتدت كلماتهم، وشارك كل منهم في الافصاح عن ضيقه وتبرمه. تكاثرت الكلمات، وحرصوا على ان تكون اصواتهم عالية حتى تصل الى اذني العجوز، عساها تغادر البيت في هدوء!

اخترقت اصواتهم صمت المساء، واذا كان لغوهم هذا يسبب ازعاجا للجيران، فهو ايضا يزعج سامي الذي اختلى في غرفته ولم يشاركهم الحديث. ففي هذه الساعة المتأخرة من المساء يلذ له ان يكتب خواطره اليومية في كراسة صغيرة، ويسجل مشاعره وخلجات قلبه. اعتاد هذه الخلوة ولم يشأ احد ان يلومه او يؤاخذه على انزوائه وعدم الاهتمام بما يجري حوله. احب سامي جارته السمراء فتنة، وبادلته هي حبا بحب. تبادلا رسائل الغرام التي عبرت اصدق تعبير عن عواطفهما الفياضة، كما تعددت لقاءاتهما. حرص على ان يلتقي بها كل يوم، ولم يعبأ بنصح اخيه سامح بالابتعاد عنها! . وحرص كذلك على ان يدون في كراسة اليوميات جل احاسيسه، ثم يلتذ بقراءة ماكتب. وكانت فتنة حريصة على قراءة خواطره التي تدفعه الى كتابتها دفعا. وازداد به التيه وغرق في بحور الشوق.



لم يشك احد في ان العجوز قد سمعت كل كلمة، وفهمت مأربهم واذا كانت نائمة، فلا شك انها استيقظت مذعورة !. انها تخاف منهم ولا يمكن ان تهنأ بنوم في هذه الساعة، ولا شك انها تفكر في امر ما !.

قالت الام:

- ان العجوز تسمع ما نقول. لماذا ترتفع اصواتكم بهذه الطريقة ؟!.

قال الاب وهو ينفث دخان سيجارته:

- لا يهم. يجب ان تفهم هذه العجوز المتعجرفة اننا قادرون على طردها.

سأل سامح:

- كانت تعيش في رعاية جدي، فلماذا لم تطردها بعد وفاته ؟.

- قلت لنفسي انها عجوز فانية، ولن تعمر طويلا.. فصبرت عليها، لكن تصرفاتها الان تزعجني وتسبب لي قلقا متزايدا، ولا شك انكم ضجرتم من وجودها.

قال فتحي ساخرا:

- مات جدي، ثم اصيب اخي محمد بحمى اودت به، وما تزال العجوز تهنأ بالعافية !

صرخ سامح في انفعال:

- حتما ستموت العجوز. لكل شيء نهاية، ولا يمكن ان تعيش اكثر من ذلك. منذ ايام سمعت سعالها الحاد فاستبشرت خيرا !.. وحلمت في المساء بانها قد ماتت، ولا بد ان يصدق الحلم !.

قال الاب:

- صدقت يا سامح، انها عجوز فانية.. لكني اريد التخلص منها.

اجهش وديع بالبكاء، وارتمى في حضن امه متسائلا:

- لماذا تتمنون موت العجوز ؟!

ربتت الام على ظهره:

- مثلما مات جدك واخوك..

لم يفهم وديع مقصد الام تماما، لكنه اكتأب وخاف، انهم يكثرون

القول عن العجوز ، ولم يفهم من كلامهم الا النذر اليسير . ارتجف مذعورا ، وود لو ينام ويحلم باشياء اخرى جميلة .

سأل سامح :

ـ ماذا تنوي ان تفعل يا ابي ؟!

ـ لن اسكت .. هذه المرأة المخرفة تنغص عيشتنا وتسود أيامنا. انتظرنا طويلا املا في دنو الاجل ، بلا جدوى . ولا يمكننا السكوت على تطاولها وتبجحها . انتظر حتى يطلع الصباح ، وسترى ما انا فاعل .

فلول الظلام تتقهقر امام طلائع النور ، وبدات الاجفان تطرد النعاس وتتهيأ لاستقبال صباح جديد .

وبينما افراد الاسرة يتهيأون للصباح الطالع ، تناهت الى آذانهم اصوات غريبة مزعجة . ارهف عبد الصبور السمع حتى تأكد له ان الصوت مصدره جمع قطع اثاث ونقلها ، فاستبشر خيرا واعتقد ان العجوز قد قررت الرحيل دون ان تخبر احدا . وايقن انه الحل الوحيدالذي لا بد ان تلجأ اليه العجوز ، فليست لديها قوة تتحداهم بها ، وما تأثيرها عليهم الا نتيجة صبرهم وعدم محاسبتها على ما يبدر منها من مضايقات . وها هي اليوم ترتضي الرحيل عن البيت ، حسنا تفعل ، ويا ليتها ترحل عن الدنيا ! .. لا لشيء الا تحقيقا لامنية قديمة خيبت املهم فيها . وكان ما ذهب اليه الاب من حساب وظنون هو ذاته ما خطر على بال افراد اسرته وان اختلفت اختلافا هينا في التفاصيل . وتنفس كل من مخدعه الصعداء . اراد عبد الصبور ان يخرج لتوديعها ، الا انه آثر التريث حتى تنتهي من نقل اثاثها كله .. اثاثها ! .. يا لخيبة هواجسه ! .. اهكذا ينسى سريعا ؟ فما بال ابنائه ؟.. اليس هذا الاثاث ملكا لابيه ؟ .. وادعت العجوز انه اشتراه لها !.. فصدق ادعاءها ولم يجادل . يا له من رجل طيب يفرض اهون الحلول وايسرها !.. وعلى اية حال ، فماذا يضير ؟.. انه يملك من الاثاث افخره واغلاه ثمنا ، وهذا القليل قد يسعد العجوز ، وهي حتما في حاجة اليه ، اما هو ... فما حاجته الى اثاثها المتواضع ؟.

وبينما كان الاب مسترسلا في خواطره وهواجسه ، اذا بالباب يفتح بعنف ويدخل فتحي .. عمره يناهز العشرين ربيعا ، عيناه تتقدان كجمرتي النار ، تتلفتان في كل اتجاه ، تحملقان في الاب الصامت وتطيلان التحديق ، ثم يزعق في انفعال :



حسني سيد لبيب

★

ـ العجوز ... العجوز يا ابي تسلب الاثاث وتلقي به في الشارع .

ابتسم الاب محاولا تهدئة ابنه الثائر :

ـ هديء من روعك ، انشغل انفسنا باثاث العجوز ؟. لترمه كما تشاء ، او لتلق به في النار ، فلن يضيرنا هذا .

صرخ فتحي منتحبا :

ـ ابي ... افق . منذ وعيت صورتك في الحياة وانا اراك تحلم بالخير ، ومن حولنا ينعق البوم وتنقنق الضفادع .. ان العجوز ترمي اثاثنا نحن ، كل اثاثنا ..

ـ كل اثاثنا ! .. كيف ذلك ؟ .. هذا بعيد عن التصور .

ـ الم اقل لك : افق ؟ .. اما زلت تتصور ؟ .. اما زلت ؟!

هم الاب بمغادرة الغرفة قائلا في حزم :

ـ الان يحق لي منعها بالقوة .

ـ لا .. لا تحاول .. فات الاوان .. حاولت انا ذلك فجرحت .

امعن النظر في عينيه المنتحبتين وقال في شك :

ـ جرحت ؟.. العجوز جرحتك ؟

ـ ليست العجوز ، انهم اناس اشداء تعرضوا لنا وآذونا . وقد هربت امي واخوتي عند الجيران واحتموا عندهم .

ـ اناس اشداء ! .. امر غريب لا يمكن تصوره ..

ـ اما زلت تتصور ؟! بالله عليك ، افق .

ـ لا تخش شيئا يا ولدي هذه العجوز تلعب لعبتها ، وتبدد اثاثنا انها جريمة واضحة . البيت بيتنا ، وهي امراة دخيلة تأخذ ما ليس لها . لن اجابه الاشداء ، لكني سألجأ الى المحكمة فالقانون يحميني .

تطلع الجيران الى ما حدث بعيون ملؤها الدهشة والحيرة . وقد كان طرد اسرة مكونة من ستة افراد حدثا فريدا يستدر الدموع من المآقي . وقد لجأ عبد الصبور الى احد الجيران يقيم عنده ريثما يتدبر الامر . روى للجيران حكاية العجوز، فانصتوا اليه في دهشة وعجب . ولقد اثاره ادعاء العجوز ان هذا البيت بيتها ، وهم دخلاء استغلوا كبر سنها ! . احس عبد الصبور بضعفه ، فطلب من الجيران مؤازرته الا انهم لم يتعرفوا قط على ابيه ، فهم سكان جدد لا يعرفون بالضبط من صاحب البيت الحقيقي ؟ وطلبوا منه ـ انصافا للحق والعدل كما

قالوا – ان يقدم ما يثبت ملكيته للبيت ! – دهش الاب من طلبهم ، فلم يكن يحسب انهم سيخذلونه . انه صاحب البيت ، حقيقة لا يمكن ان يثار من حولها غبار الجدل العقيم . فما بالهم يغمطون حقه وتطل نظرات الشك من عيونهم ؟! هذه العيون الكثيرة ، تطوقه بسياج غليظة ، لا تترفق به ، ولا تبصر الحقيقة الواضحة .

وبقلب مكلوم ، ونفس مكتئبة .. راح يبحث عن عقد الملكية القديم ، ارضاء لجيرانه الجاحدين . بحث عنه وسط قطع الاثاث المتراكمة فوق بعضها البعض بلا تنسيق . ظل يبحث حتى اعياه البحث ، طلب من سامي التعاون معه في هذه المهمة الغير مجدية . كما طلب من سامح ان يقاضي العجوز في المحكمة !.

سأل سامي :

– متى نعود الى البيت ؟!

والتقط الصغير الكلمات ذاتها ورددها .

كانت الام تقعد القرفصاء في احد اركان الغرفة الضيقة ، وقد علت الكآبة وجهها . همست بكلمات ممزوجة بالالم ..

– استطاعت العجوز الفانية ان تفرض ارادة الحياة !.

قال سامي :

– صبرا يا امي .. صبرا ..

قالت الام :

– لن يسترد البيت الا اذا صلح اهله اولا .

– صمت سامي .. جاشت بصدره انفعالات شتى ، واحس بحاجته الى التعبير عن كآبته الخرساء ، لكنه ادرك انه لن يعثر على كراسة اليوميات بسهولة وسط هذه الفوضى . تذكر فتنة ، فاكتأب لما آل اليه حاله . تهالك في موضعه منتحبا ..

– كراستي الحبيبة ، اين هي ؟. دونت فيها احلى ذكرياتي . ربما مزقتها العجوز .. يا الهي ، هذا مرير .. مرير .

دخل سامح وصوته يسبقه :

– ابي .. القضية ستنظر بعد ستة اشهر .. ورقم القضية ... رقمها ! .. اوه ، قد نسيت الرقم والتاريخ .. اوه ، نسيته ايضا ! كيف ذلك ؟! اشعر بالارهاق والتعب. اتخونني ذاكرتي ؟! لا بد ان شيئا ما قد حدث .. اتكون العجوز ساحرة ؟ وما بال ذاكرتي تضعف ؟! .. اشعر بالدوار .. انا في حاجة الى الراحة، والنوم ..

جال بعينيه في وجوههم ، غلبه النعاس ، وسيطر على الجميع اكتئاب صامت ! .

انتحبت الام ، واغتسلت عيناها النجلاوان بالدموع . اقترب سامي منها ، وربت على كتفها هامسا :

– اراك دائما تبكين ، الا تملكين غير البكاء ؟.

– لقد تفرقت بكم السبل ، وضاعت منكم اصول القضية . اني ابكي حظي العاثر الذي جعلني انجب ابناء ضعفاء .

مسح بمنديله الدموع المنبجسة من عيني امه .

– انك تمسح الدمع ، ولا تضمد الجرح . ان الجرح غائر في قلبي . هل تستطيع يا ابني ان تداوي القلب ، وتشفيه ؟!

– ربما ...

– اصلحوا انفسكم ، واحبوا بعضكم بعضا . حينذاك يطيب الجرح، ويلتئم ، ويصح قلبي ، وينبض نبضات حية خفاقة .

افاق سامح من سباته على كلمات امه العظيمة ، فتمتم وهو بين اليقظة والمنام :

– ليت ذلك يكون يا امي ! .. ليت ذلك يكون !..

القاهرة حسني سيد لبيب

يا قدس ... يا قمر الزمان

★

ارحل نسائلك الرحيـ ـل فانت كالكابوس جاثم
كالخوف كالارهاق فو ق ملامح الاشياء عائم
كالرعب حين يمارس الايغال في اعماق آثم
تاريخك المزعوم وجـ ـه شاحب فقد المعالم

الصوت موؤدا قضى قبل ارتحاله في المسامع
والشمس في وسط السما ء هجيرها برد المواجع
والعمر صحراء وفي الاذان قد وضعت اصابع
او كلما بلغت خطا هم موقعا برزت مواقع

حلت جدائلها وفي اردانها يسري الضرام
وتسلقت كل الضما ئر واستوت فوق الحطام
طيرا ربيعي الرجو ع يحل في الارض السلام
قمر الزمان ، مدينتي تستولد الحلم الحرام

دمشق سلافة العامري

وتطرقني الالآم

●

سالتك باسم الله تتركني وحدي فاني من الالام في جاحم الوقـد
أعيش غريبـا في بلاد بعيـدة فكم خيبت قصدي وكم ثلمت حدي
اذا جنني ليلي الطويـل بعثته قصيدا كموج البحر في ساعة المد
اساهر فيه النجم لا اعرف الكرى فمذ كنت طفلا قد ربيت على السهد
اقضي نهاري كادحا متالمـا وفوق فؤادي الهم اثقل من طـود
تزج بـي الايـام في كل مـازق وترمي بي الدنيا من الضد للضد
وتطرقني الالام في كـل ليلـة فاصبر صبر الشاعر الايد الجلد
وتنهشني الاسقـام نهشا كانـي بافواههـا شلو تردى من الكد
فمن شعة الفجر البهيج الى المسا اجاهد والاوغـاد تسلبني جهدي
فكم اكلوا حقي وخانوا امانتـي فلم ار فيهـم صاحبا حافظ الود
فيـا رب لم ابعدتني عن مواطني وشردتنـي في القفر معثوثر الجـد
فلا صاحب يأسو جراحي بغربة ولا سامع شعرا تحدر من كبدي
وما الشعر غير الحس ارهفه الاسى ...... فاض من عالم الخلـد
فراح ضياعا بين قـوم اعاجـم كما ضاع في هجر البلاد الفتى الكعدي
يعز على نفسي ضيـاع مهابـتي فلا قلـم يغنـي ولا ادب يجـدي
على أنني رغم المصـائب لم ازل اغرد والتغريـد احلى من الشهد
فيا ايها اللـوام خلوا ملامـتي فما حسكم حسي، ولا وجدكم وجدي
فقلبي كجو الارز صفوا وبهجـة فلا انا ذو غـل ولا بي من حقـد
الا فاتقـوا الرحمن في قلب شاعر وفي كريم الاصل والفصل والعهد
وقفت على حب الحقيقة مرقمـي وبي ظمأ للحق كالبحر ممتـد
ومن يعرف الحـق المنـور مؤمنا يعش بجـواء الوحي مرتفع البند
فيـا رب خفف من مصابي فانني غريب بعيد الدار اقطنها وحدي
ويا رب انت الكل في الكل ظاهـر فـلا تخلني من نور وجهك والوعد
عليك اتكالي في الخطـوب فنجني من الناس وارحم شاعرا سامي القصد

لاباز ــ بوليفيا

جورج الكعدي

الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور

بقلم عجاج نويهض

* * *

هذا عنوان لأحب كتاب الى قلب كل عربي علـى وجـــه الارض ، ولاسيما في الوقت الحاضر والامة العربية تزداد كل يوم توثبا الى ما هو افضل واعلى ، في الكيان المنسجم مع نواميس الطبيعة ، ووفاء بواجب الاسهام في الحضارة. والثقافة العلمية والتراث من اعز ما يملك العرب .

في هذا الكتاب ٩٣ رسالة . ٦٢ رسالة لاحمد تيمور و ٣١ رسالة للكرملي . كلاهما آية في العربية لغة ، وفي التحقيق ، وشدة الاستقصاء ، وفي اشياء اخرى تمـت لهما على خير وجه : الخلق الرضي الترياقـي ، والوداعة السيالة ، الندية حتى انك لتخال انهما لم يتركا للاطفال شيئا ، والثقة الصافية بين عالمين عملاقين ، فتيمور كانه الهرم الاكبر في ارض الكنانـــة ، والكرملي كانه الجنائن المعلقة في بابل . وتيمور يشرب من النيل ، والكرمـلي من الرافدين . واقتعدا من اريكة الربـع الاخير من القـرن المـاضي ومعظـم النصف الاول من هذا القرن مقعـد الصدارة . فاعظم بهما من كوكبين ازدانـت بهمـا ارض العرب وقبة الفلك .

وانعم الله علي اضفى نعمة ، بان كتب لي ان اكون بين يدي احمد تيمور في القاهرة سنـة ١٩٢٥ اوقاتـا مباركة ، وفي منزله العامر كما سيجيء ، كما كتب لي ان احضر جلسة من جلسات الادب العالي والنقاش المهـذب الاسلوب ، المترع بنسيج ارق من الحرير كله رقائق ودقائق ، وكشف مبين ، بين الاب انستاس الكرملي و « اديـــب فلسطين » صديقي اسعاف النشاشيبي ، في « اوتيل مرقص » في القدس ، وتاريخ ذلك حوالي ١٩٢٥ وهذا ما يجعلني اعتقد ، والحكم للقارىء اذا شاء ، ان خيرا كثيرا عظيما من « الادب الحي » يذهب هدرا ، لعـدم تـدوينه ونشره . ويا للخسارة !!

هذه الرسائل دارت بين هذين العلمين مـــن سنة ١٩٢٢ ــ ١٩٢٧ والعالم العربي يشتد فيه المخاض والتململ، والانتقاض والثورة ، والتراث في دور الاستفاقة ، طـــه حسين كان وقتها يتألق ولكنه كان يجتاز محنة « الشعر الجاهلي » . وشوقي وحافظ والمطران في الابراج العالية. سعد زغلول كان سيد الوادي وله الاكبار والاعظام فــي البلاد العربية كلها . المنفلوطي كان قد التحق بالرفيـــق الاعلى سنة ١٩٢٤ ويوم اطلاق النار على الزعيم الخالد سعد زغلول ولذلك لما رثاه شوقي ، جعل مطلع ابياته :

اختـرت يوم الهول يوم وداع ... ونعـاك في عصف الرياح الناعي
هتف النعاة ضحى، فاوصد دونهم ... جرح الرئـيس منافذ الاسماع
من مـات في فزع القيامة لم يجد ... قدمـا تشيع او حفاوة ساعي

وسنة ١٩٢٧ هوى كوكب سعد . وكانت « المقتطف» و « الهلال » في سيرهما العلمي الواسع العباب ، وكانت مجلة « المنار » الاسلامي خواضة الاصلاح فـي العالـم الاسـلامي .

وحقق هذه الرسائل وعلـق عليهـا اجمـل تحقيق وتعليق ، الاساتذة كوركيس عواد ، وميخائيل عـــواد ، وجليل العطية . ونعم ما صنعوا في كل صفحة وسطر . وكان « لوزارة الاعلام » في الجمهورية العراقية اليـــد المشكورة في اخراج هذا الكتاب ، فانها هي التي تولـت اخراجه وادرجته في « سلسلة كتب التراث » وما اعظم هذا العمل ، ويلاحظ ان هذا الكتاب يمكن ان يعد الاول من نوعه في عصرنا الجديد هذا ، ولعلي احـاول ذكـر مميزاتــه :

ــ من جهتي اذا تخيلت ان الانسان يوم القيامـة ، لا يستطيع ان يغير شيئا من موازينه ، فيؤدي حسـابه، ولا شيء غير الحق ، والصدق ، فعلى هذا الغرار كـــان الكلام يدور بين الاثنين .

ــ الكرملي وضع سيرة صفيه تيمور في هذا الكتاب الفريد ، واما سيرة الكرملي فقد اكتفى الافاضل محققو الكتاب بذكر مصادر هذه الترجمة . ولسنا بناقديـن ، ولكننا نسأل : الم يكن من اليسير نقل ترجمة الكرملـي ملخصة الى كتاب « الرسائل المتبادلة » من كتاب « الاب انستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته » ؟ فيقرأ القارىء السميرين في موطن واحد .

ــ المسائل المبحوث فيها كلها علمية ، فـــي الادب والتاريخ ، والكتب المخطوطة ، وتصحيح الاراء المغلوطة ، ونقد المستشرقين في ما صنفوا وكله لذيذ ، شديـــد الاغـراء .

ــ وزاد الاساتـذة الافاضـل المحققون في الامتـاع والفائدة انهم لم يتركوا غامضة او شبهة ، صغيرة او كبيرة الا جلوها خير جلاء ، فامام القاريء صينية من ذهـب عليها هذه البضاعة المنتقاة والحقائق المصفاة .

والرسائل شغلت من الكتاب ٢٣٥ صفحة وبعد هذا نحو من ٦٠ صفحة حوت مستدركات وفهارس . وجمـع هذه الرسائل وتنسيقها امر دقيق وفيه عناء ونصـب . وهذه لعمري مهمة العلم ، « فالعوادان » وهما من الاعلام قد قدما الى التراث الحي المعاصر لؤلؤة كريمة هي فـــي متناول كل من يريد ان يجتليها . فالشكر عظيم وهـــو قليـــل .

الكتاب وصل الي من بغداد منذ عدة ايام ، مـــن « العوادين » ، وهما طراز الفضل وعنوانه ، ويشهد لهمـا في هذا لبنانه وبغدانه ، ولم اجتز، منه بعد اكثر من نصفه،

فما اقوله الان هو بعض انطباعاتي عن نقاط محـدودة لا اكثر ، لغوية وحوادث تدعو الى العبرة :

ــ قال الكرملي ص ٨٣ : « سألتك رايك في اهمـال الياء الاخيرة » فعددت ذلـك رايا مني فـي تنقيطهـا ، وحاشاي ان اهدي الحبيب الى راي وقد سدد الله آراءه فـي كل ما يبدي ويضمر » .

ــ الصفحة نفسها من رسالة الكرملي وهو يشيد بذكر الاخلاق الفاضلة لتيمور : « ... فنجعله سببا لشد عرى الوداد ، مع ان بيني وبينك من الاخلاق ما لا يؤهلني لان امسح حذاءك ، فبارك الله رجلا كلما زاد رفعة وعلمـا وشرفا ، زاد تواضعا وتصاغرا وكرما » .

ــ من الكرملي الى تيمور ص ٨٥ : « وكنت احب ان ارى فيه « درام » مترجمة « بفاجعة » ، و « دراماتيك » « بفاجع » و « كوميدي » « بأضحوكـة » وكـوميـك بمضحك ، وتراجيدي بمأساة ، الى غير هذه الاوضاع ، حتى نتزه اقلامنـا عن الرطانة والعجمة ، وندني كلامنا من افهام العوام ، ونضعه منهم على طرف التمام . هذا رايي وان كان يكرهه جماع المتفرنجين ... » .

ــ كـلا العلمين ، تيمـور والكرملـي ، يستعمـل « ارجوك » وبعض النقاد يقولون « ارجو منك » .

ــ من الكرملي ص ٨٦ : « ... فاني افتخر غـاية الافتخار بكوني عرفتك بشخصك وشاهدتـك وكلمتك ، وبقيت محافظا على مكاتبتك ، وما آسف الا لشيء وهو انك تخاطبني مخاطبة رجل غريب (بصيغة الجمع) وانا اخـاطبـك مخاطبة صديق صادق وحميم (بـالمفرد) فعسى ان تقابلني بالمثل ليطمئن قلبي » .

ــ من الكرملي وفي الصفحة السابقة نفسها و ٨٧ فانه يستعمل « الخطيـات والطبيعيات » للمخطـوطات والمطبوعات فيقول : « ولما سقطت بغداد اتلفت خزانتـي مع ما كان فيها من الخطيات والطبعيات ... » .

ــ من الكرملي ص ٨٩ : « والمستوفي » فـي العصر العباسي هو « امين الصندوق » في عهدنا » .

ــ تيمور يوافق على المخاطبة بينهما « بالكاف والتاء» فيقول ص ٩١ : « سيدي الجليل » ــ يروى ان احـد الوزراء اراد مسامرة ابي حيان التوحيدي للانتفاع بعلمـه وادبه ، فرضي ، الا انه اشترط شروطا لطرح التكلف ، منها ان تكون المخاطبة بينهما (بالتاء والكاف) وقد اصاب ابو حيان كما اصاب سيدي في اقتراحه في خطابه الاخير ، لان هذه المخاطبة من اكبر الادلة على تأكد الصداقة والصفاء بين اثنين ، فلتكن مخاطباتنا بعد الان على هذا النمط كما اشـرت .. » .

ــ من الكرملي ص ٩٣ : (وهذا يشعر بان الرجـل لم يفهم العبارة لما وقع فيها من التصحيف الشنيـع ، والصواب لأرحت رائحة الجية اي الركية المنتنة ، فايـن هذا من ذاك) . انتهى ما قاله الكرملي . ونقول ان هـذه الكلمة مستعملة في كل بيت ومنزل في لبنان ، ولكـن يلفظونها لفظا مرخيا جدا ، فتقول ربة البيت فـي نطاق النظافة وضدها : « قلعطة وجيي » .

ــ يصر تيمور على استعمال « معلمة » بمعنى «دائرة معارف » ويصر احمد زكي (باشا) « شيخ العروبة »على « الموسوعة » .

ــ يدخـل الكرمـلي (الـ) على « غـيـر » . ويستعمل « بدون » اي بها يلحق الباء . وسمعته فـي جلسة النقاش بينه وبين اسعاف النشاشيبي ، وهو مـا اشرت اليه سابقا ، يقول ان الكلام القديم لم ترد فيـه « دون » الا مجردة من الباء وقال « ايتوني بعبارة واحدة من الكلام القديم فيه « دون » ملحقة بها « الباء » .وسمعت الكرملي في تلك الجلسة نفسها ان الاصح فـي كتـابـة « فينيقيا » بلا ياء بعد الفاء فيقال (فنيقيا) وكانـت ملاحظته هذه تعليقا على قول شاعر لبناني حديث :

ان فينيقيـا التـي انبتتكـم

انبتت قبلكـم رجـالا عظـاما

ومن الغريب ان الكرملي وقع في كلامه ان كـرر المضاف فقال : « وقد بينت وهم وغلط الذيـن ... » ص ١٠٣ .

ــ الكرملي ص ١٠٣ : « فارجوك ان تلح على الوزير المذكور ان يدقق النظر في اختيار الالفاظ ، وان لا يغلط كما غلط (المجمع العلمي) الدمشقي وكان الاصح ان يقول (مجمع العلماء) اي Académie واملي ان لا يقصروا عملهم على حصر علماء اللغة بالمسلمين فحسب ، بل باختيار غيرهـم ايضا » .

ــ احتكاك ادبي علمي نقاشي بين احمد تيمور واحمد زكي (شيخ العروبة) ادى الى شيء من الاغبرار بينهمـا فاقرا في ص ١٠٩ وصف تيمور لهذا الحال بينه وبيـن احمـد زكي في رسالته الى الكرملي .

ــ تيمور الى الكرملي ص ١٠٩ : « وعلى ذكر المعلمة، اخبر سيدي انني التقيت بصاحب السعادة ، زكي باشا في المكتبة السلفية بعد الذي وقع بيننا من الجدال فكـان التقاء غريبا ، واظن اننا سنقتحم جدالا جديدا». ويقول تيمور في هذه الرسالة نفسها : « اما اخبارنا العلميـة فلم يجد منها شيء سوى حبوط مشروع المعلمة بسقـوط الوزارة غير اننا لم نستسلم لليأس ، وسنسعى جهدنا مع الوزير الجديد لاستئناف العمل وعسى ان نوفق » .

هذا ما يقوله احمد تيمور ، طيب الله ثراه وثـرى اخيه الكرملي ، في صدد حبوط مشروع وضع المعلمـة العربية . وهذا قبل اليوم باكثر من نصف قرن اذ تاريخ هذه الرسالة ٤ يناير ١٩٢٣ ولا بأس ان نلاحظ ما كـان يجري في معسكر العدو الصهيوني من نمط واسلوب فـي تنفيذ المشاريع الحيوية الكبيرة : فان وضع دائرة المعارف اليهودية التي اخرجت سنة ١٩٠٥ كانت القيادة العليا في

قلب

اطلت علي ليالي العـذاب ... واجريت عيني بدمـع السحاب
واظمأت قلـبي ويا طالمـا ... رواه بثغرك عـذب الرضاب
حنين يمـوج ويهفـو بـه ... كريـح تهز الغصـون الرطاب
أنين الاسـى في سويـدائـه ... صـداه بشعـر كنوح الربـاب
أذابتـه نـار باشـواقـه ... فـلاح بعينـي كنـور مذاب
من الوجد امسـى على موجـة ... فالقتـه فـوق صخور صـلاب
ودب الذبـول به زهـرة ... رأت قطـرة في بعيـد السراب
من الوهـم راحت به حـيرة ... الى البيـد فيها يضل الشعاب
من الشـك يطوي على جمرة ... رمـاد لهـا كـل هـذا الضباب
يكـرر بالخفـق تسـآلـه ... « لمـاذا حبيبي اطال الغيـاب »
ويندب في الحب آمـالـه ... فمـا لاح يـوم لفجـر الاياب
طويـلا بكـى في الهـوى ياسـه ... ومـا من هـواه أراد المتـاب!

القاهرة

حسين مجيب المصري

الحركة الصهيونية زمن هرتسل قد قررتها نهائيا وجعلت تعد لها العدد وهرتسل مات سنة ١٩٠٤ .

والان ، ذلك العلامة احمد تيمور ، وابنه امير القصة العربية ورائدها منذ العقد الثالث من هذا القرن فصاعـدا ، محمود تيمـور :

فقد كنت في القاهرة سنة ١٩٢٣ اتعاقد مع صديقي الكبير الاستاذ محب الدين الخطيب على طبع « حاضر العالم الاسلامي » الطبعة الاولى في « المطبعة السلفيـة » المشهورة ، وتم الامر وباشرنا العمل ، وصرت اتردد يوميا على محب الدين في مطبعته ، وكان في مصر منذ اشهر سابقة الشهيد « فؤاد سالم » اخو رفيقتي « ام خلدون » وهي شقيقته . فلما جئت مصر في تلك السنة ومكثت فيها اسابيع كان « فؤاد » مسديا الي خيرا عظيما بان جعل يعرفني على اصدقـائه ، ومنهم العلامة احمد تيمور وهو يسكن في « الزمالك » كما اذكر جيدا . وتلطف احمـد تيمور فدعانا الى غداء نفيس في داره ، نحن الثلاثة :محب الدين وفؤاد وكاتب هذه السطور ، وجميعهم في الآجلة رحمهم اللـه .

ودهشت وقتها من مكتبة احمد تيمور التي فـي « الزمالك » ، وانها لتدهش حقا ، فانها من اغنى مكتبات العالم الاسلامي احتواء على قيم الكتاب مخطوطا ومطبوعا. وقاريء « الاديب » يجد الاشارة اليها مرات عديدة فـي رسائل تيمور الى الكرملي . ولكن ما هو اهم من المكتبـة بمراحل ، اخلاق احمد تيمور التي سحرت الكرملي حتى قال له في احد اجوبته العبارة التي مر ذكرها . وتيمور صديق محب الدين صداقة وثيقة يضرب بها المثل .وجعلت من جهتي اتغنـى باخلاق تيمور . وكذلك قريبـي فؤاد سليم المستشهد في الثورة السورية في معركة مجدل شمس بعد سنتين ، ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ .

وفي ذات يوم كنت صباحا في مكتب محب الدين حسب عادتي نتباحث في شؤون الطباعة ، ولا ثالـث بيننا . فدخل شاب وسيم الطلعة ، وبعد التحية استأذن مني محب الدين ان يراه في حديث بينهما فتركني ومضى الى الشاب وجعلا يتفاوضان في امر بينهما ، وهما على بضعة امتار مني ، وانا باق جالسا في مقعدي وهما واقفان لا قاعدان ، وكنت اسمع حديثهما سماعا تلتقطه الاذن طبيعيا ولكني ما فهمت شيئا ولا كان قصدي ان افهـم شيئا . وطال بينهما الحديث نحوا من عشر دقائق ، ثـم رأيت محب الدين تسلم من الشاب أوراقا ملفوفة . فانصرف الشاب وعاد محب الدين الي يهز براسه هزة الاستصغار ، والاوراق بيده فجلس وقال لي : يا حسرة !! رب شوك يخلف وردا ورب ورد يخلف شوكا !! اتعلم من هو هـذا الشاب ؟ فقلت كلا . فقال هو ابن احمد تيمور باشا الذي انت مسحور باخلاقه وقد دعانا الى ذلك الغداء الفاخـر في بيته منذ ايام ، فقلت نعم ، فقال ان ابنه هذا واسمه محمود مولع ومغرم بكتابة الاقاصيص يسمعها من العجائز او يترجمها عن الفرنسية ، فهو الشوك من ورد احمـد تيمور ، وهو جالب لي اليوم هذه القصة لاطبعها له فـلا يسعني الا القبول وسبحان الله كيف تخلف الوردة شوكا. واني انشر هذا لاول مرة . رحم الله احمد تيمور ورحـم الله نابغته الشـوك .

راس المتن ـ لبنان

عجاج نويهض

العربية قبل سيبويه وبعده

بقلم ابراهيم العريض

* * *

ايها العلماء الاجلاء اسمحوا لي ان اقرر بين يديكم – في مستهل كلمتي هذه – بكل تواضع ، ما هو عندي في حكم البداهة بالنسبة الى اللغة العربية ، قبل ان اتبسط في الموضوع على قدر ما يسمح به الوقت المتاح لي شرحا وتعليقا •.

اولا – ان اللغة العربية التي ظلت تتدارسها – قراءة وكتابة – الشعوب الاسلامية ، تفقها في الدين وتفكها في الادب ، منذ القرن الثاني للهجرة ، انما هي لغة حضارية مشذبة مهذبة اخذت بها هذه الشعوب الداخلة في الاسلام (من غير العرب طبعا) عن طريق الكتابة والدرس ، وهي تختلف في معاناتها النفسية وملابساتها الاجتماعية ودلالاتها القومية عن لغة البادية التي كان العرب في اوطانهم – بمختلف لهجاتهم – يتحاورون بها على سليقتهم ، ولا زالوا يفعلون ذلك تلقائيا الى اليوم في انحاء عالمنا العربي . وهي التي حاول النحاة – من غير طائل – تلمس شواهدها في الشعر الجاهلي ، واختلفوا في امرها في شعر الفرزدق في صدر الاسلام ، ثم تنكروا لها كليا فيما رأوا من آثارها في شعر المتنبي في القرن الرابع الهجري . فأساؤا بذلك الى اللغة والى انفسهم .. لولا العلامة ابن جني الذي تدارك الموضوع وكان « عالما » بمعنى الكلمة فوضع لهم حدا .

ثانيا – ان قواعد هذه اللغة التي يتدارسها الطلاب في مدارسهم كما وضعها – ولا اقول استنبطها – النحاة ، لتيسير درس اللغة حسب منطق ارسطو هي ابعد ما تكون عن الاحاطة بالشواهد الشعرية والايات القرآنية التي تنحو نحوا يختلف عنها في كثير من الاحيان ، مما وقع معه اصحاب المدارس النحوية في تناقض مع انفسهم ، وصح معه القول : اضعف من حجة نحوي ! .. تندرا بهؤلاء .

ان غرضي من طرح الموضوع على هذا الشكل هو ان الفت نظركم في هذا المهرجان الى ضرورة اعادة النظر من جديد في هيكل وبناء هذه اللغة الكريمة شكلا وموضوعا ، على غرار ما تم عند سوانا من تقص في مثل هذه الدراسات حول لغاتهم – منذ استهل هذا القرن ، وها قد اشرف الان على نهايته – لا ان نظل نجتر كالببغاء ما قاله القائلون منا قبل مئات السنين دون وضعه على المحك . فاللغة عند العلماء المعاصرين هؤلاء ، بخلاف ما يريده لها نحاتنا القدماء ، دائبة في التطور غير جامدة . وما ذلك الا لان المعول في هذه الدراسات اللغوية الحديثة التي يتبنونها هو على اللغة الحية التي يتحاور بها الناس تلقائيا في شتى امورهم ، لا تلك التي تستبطنها الكتب محنطة كالمومياء . فما يستخلص للغة من قواعد لا يجوز بحال ان تكون كبولا يمنعها التنفس والحياة ، كما ظل الحال عندنا الى امس القريب بالنسبة الى الفصحى ، ولا ان تكون قاصرة عن احوالها الدارجة .

والان فلنتبسط في الموضوع .

اذا عدنا بالذاكرة الى الوراء ابان الفتوحات الاسلامية الاولى الفينا كثيرا من الشعوب والامم تنضوي تحت لواء الاسلام وتسعى جاهدة لتعلم احكام هذا الدين الجديد وتلاوة آيات محكم كتابه العزيز وهو القرآن الكريم ، لذلك كان لا بد لهم من تعلم اللغة العربية . وهذا سبب ديني ... يضاف اليه سبب اجتماعي يتجلى في الرغبة العارمة لدى تلك الشعوب والامم في السعي نحو التفاهم في شؤون حياتها اليومية مع السادة الجدد .

ومن الطبيعي ان كل متعلم للغة لا بد وان يخطىء في ادائها .. وهذا ما يسمى بـ « اللحن » . واللحن انواع : لحن صوتي في طريقة نطق الحروف والكلمات ، ولحن اسلوبي في طريقة نظام الجملة وحركات اواخر الكلمات فيها . وهناك لحن آخر نشأ على يد الذين قرأوا القرآن ولم يكن في اول امره منقطا ولا مشكلا .. ولهذا وقع البعض في اخطاء فاحشة فقد قرئت الآية « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله .. وهذا خطأ شنيع .. وكان الصواب ان تفتح اللام على العطف او ترفع على الابتداء .. فقام ابو الاسود الدؤلي بمهمة التنقيط والتشكيل ، وكان التشكيل عبارة عن نقطة بين يدي الحرف او فوق الحرف او تحته بلون مغاير للون الحروف المكتوبة وما استحدث لها من نقاط تمييز البعضها عن بعض . ثم جاء الخليل بن احمد وقام بمهمة التشكيل بالطريقة المألوفة حاليا .

وهكذا قضي على نوع من الوان اللحن .. وبقيت الاخطاء الصوتية واللغوية والاسلوبية . ومن الملاحظ ان هذه الاخطاء كانت معظمها من الشعوب والامم غير العربية ، لان العرب كانوا ينطقون لغتهم بالسليقة ، كمهارة من المهارات البشرية .. ينشأ عليها ناشيء الفتيان منهم ، كما هو الحال عند سائر الشعوب في تواجدها الى اليوم . وليس معنى هذا ان العرب كانوا لا يخطئون – على مستوى الافراد – احيانا ، لقد كانوا مثل غيرهم يخطئون .. الا انها اخطاء قليلة لا تغض من شأن قائلها ، هذا اذا اخطأ في لغة قبيلته . لكن لغة قبيلته لا تعد خاطئة اذا قيست الى لغة القبائل الاخرى .. فهذه ليست اخطاء ، انما هي لغة العرب ، تنوعت في صور ادائها ونحو اسلوبها . وهذا يختلف اختلافا كليا عن تلك الاخطاء التي وقعت فيها تلك

• القيت في مهرجان سيبويه بشيراز عام ١٩٧٤

الامم والشعوب غير العربية .

ان الفرق بين ما يسميه النحاة في كتبهم (مما ينكرونه في منطوق العرب) « اخطاء » وتلك التي تجري على لسان غير العربي هو ان الاولى يمكن تأويلها من خلال ادراكنا لاسرار اللغة العربية وتنوع لهجاتها وصور ادائها ومناحي اسلوبها ، كما سوف اعرض عليكم من شواهدها بعد ، اما الثانية فلا تبرير لها من خلال واقعنا اللغوي الذي هو الاساس والفيصل في المقارنة والحكم .

وكان لا بد من جمع شواهد اللغة العربية لوضع القواعد الضابطة لها .. فقام الرواة واللغويون بعملية الجمع .. تارة على اساس الواقع اللغوي كما نجده في كثير من مسائل التصريف ، وطورا على اساس احتمالاته كما نجده في الافتراضات النحوية التي لا اساس لها من الواقع ، وشواهد كل ذلك موجودة في كتاب سيبويه ، ونادرا على اساس الاستيعاب كما فعل الخليل في كتاب « العين » حيث استخرج الكلمات كلها من اصلها الثلاثي ثم اسقط المهمل منها .

واحس العلماء بالفرق بين بعض اساليب اللغة المنطوقة وبين كونها مكتوبة ، فبعض الرموز اللغوية قاصرة عن مستوى الاداء الصوتي ، ولان الكتابة العربية في احسن احوالها ليست الا اختزالية ، ولا يمكن ان تعطي صورة معبرة عن منطوق الناس ، كما نجده بدقة اكثر عند سوانا ، ففي اللغة السنسكريتية مثلا لنطق الالف بكل امالاته اكثر من ثمانية اشكال معبرة ، بينما لا يتعدى الالف عندنا شكله الواحد رغم كثرة الامالات كما هو واضح في بعض القراءات القرآنية او لهجات القبائل . وهذا ادى بدوره الى نشأة كثير من المباحث الصوتية ، نجد بعضها واردا في كتاب سيبويه ، مما ادى عند بعضهم الى اشكالات كثيرة .

وكان لا بد من تيسير اللغة للاعاجم رغم كل هذه الاشكالات ، فتعمد سيبويه الى استنباط قواعد نحوه وصرفه على اساس الاغلبية دون ان يحددها (وقد انكرت عليه ذلك مدرسة الكوفة) وطالب بالقياس عليها واعتبر كل اسلوب عربي خارج عليها شاذا او لغية يجب اسقاطها من اللغة العربية كتابا وحديثا . وكأنما كان يريد ان يضع قواعد تعليمية ميسرة قد تصلح لغير العرب ، كما نفعل نحن حين ندرس قواعد لغة اجنبية ، فلا نتجه منها غالبا — بادىء ذي بدء — الا كل ما هو خاضع للقياس ، او هكذا تفعل الامهات مع اطفالهن الصغار . ولكن هذا ليس بوارد عندما يشب الطفل عن الطوق ، فيلغط في لغته مثل ذويه ويحسنها احسانهم فيما يتقلب فيه من ظروف حياته الخاصة . وهنا يكمن في نظر الكوفيين خطأ سيبويه حين اراد ان يخضع لغة العرب المنطوقة ويلوي عنقها وفق قواعده ذات الهدف التعليمي .

فالكسائي احد المتخرجين من مدرسة الخليل — مثل سيبويه — واحد القراء السبعة المشهورين لم يعجبه هذا التجني على اللغة . فقد نظر فوجد بعض الآيات القرآنية لا تخضع لاقيسة النحاة ومنطقهم المتشدد ، وكان يتسلح بوازع ديني متين ابى عليه ان يعتبر تلك الاساليب شاذة ولا يجوز القياس عليها ، بل اعتبرها صحيحة كصحة الاساليب القياسية التي ارتضاها النحاة . وقد مضى على نهجه الكوفيون من بعده حرصا على سلامة اللغة .

وتحضرني هنا المسألة الزنبورية التي اختلف عليها العلماء ، في قولهم : « كنت اظن الزنبور اشد لسعة من النحلة فاذا هو هي .. او .. فاذا هو اياها » . فقد قال سيبويه بالقول الاول ، واجاز الكسائي القول الثاني ، ومضى على خلافهما النحاة الى اليوم . وهذه العبارة لا تقوم لذاتها فانما هي عينة لامثالها ، وما اجاز الوجهين — كما اعتقد — الكسائي الا لان العرب تقول بهما معا ... والى اليوم .. ولكن في ظرفين مختلفين . وبيان ذلك عندي انك اذا كنت تنقل هذه التجربة نقلا غيبيا عن سواك فمالك معدى عن القول « فاذا هو هي » اما اذا كنت تتحدث عن التجربة وقد عانيتها بنفسك فعندها لا يصح الا ان تقول « فاذا هو اياها » دلالة على معاناتك الحاضرة لها .

ان ما اعتبره سيبويه ومن اتبعه من مدرسة البصرة امثلة شاذة او لغات او لغيات لا يقاس عليها يمكننا ان نستشف منها ابعادا معنوية وذوقية خفيت على الاعاجم ومن استعجم من العرب . وما اكثر هذه الشواهد الشاذة عندهم . فقد عد سيبويه لغة « اكلوني البراغيث » منها ، وقال بعدم القياس عليها لانها تخالف القاعدة المطردة . ولو كان القول شاذا غريبا لانقرض منذ زمن طويل ، مع ان من الملاحظ انه مستعمل الى حد كبير في كل مكان من الوطن العربي ، وهذا يعني ببساطة انه اسلوب عربي خالص فيه سر لم يهتد اليه النحاة الاولون . ففي قولنا « اكلتني البراغيث » كما ارى ينصب الاهتمام على البراغيث الفاعلة ، ويكون تمام القول « فاقض عليها ترحني » . اما في قولنا « اكلوني البراغيث » فانما ينصب الاهتمام على حدث الاكل ذاته دون البراغيث ويكون تمام القول هنا « فانقذني منها » . فهذا الاسلوب الثاني اشبه ما يكون بالبناء للمجهول وله شواهد من القرآن قوله تعالى : فأسروا النجوى الذين ظلموا . ومن الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .

ومن الشعر قول ليلى العفيفة (زوجة البراق) :

غللوني ، قيدوني ، ضربوا ملمس العفة مني بالعصا

ولم يسيء الى لغة الضاد شيء مثل « نظرية العامل » التي جاء بها نحاتنا لتعليل الامور ، وكان باب التنازع وباب الاختصاص وباب الاشتغال مهزلة المهازل لدى تطبيقها على لغة الناس . ووصل الحال ببعضهم الى تلمس الاخطاء — بمقتضاها — حتى في شعر المتنبي ، وذلك بعد قرنين من وضع قواعدهم ، في مثل قوله :

صورة قلمية

أعيذ دري ، ومنطقي العربـــي … من عجمـــة او رخيص مختلب
انحـت من معـدن يقـــدره من … يفـرق بيـــن النحاس والذهب
يجري يراعـــي بمـــا احس بـــه … شأن الحيـــا من مواطر السحب
لا اصرف النفـــس عن سجيتهـــا … او صدق طبعي أطليه بالكـــذب
ولا اغـالي ولا اداجـــــي ولا … ابـــذل مـــاء الحيـــاء بالطلب
لـــي من يمينـــي مساعـد وعلى … ربـــي اتكـالي سعيا الـــى الارب

ان يعجـــب النـــاس من بساطة ما … البس انـــي من بذخهم عجـــبي
او فـــاخروا بالنضـــار وانتسبوا … حسب العلـــى ان ثروتـــي حسبي
همي بمـــا ضمت البـــرود ، ولا … أفخـر جهـــلا بالابـــرد القشـــب
اشيد بالفضـــل في مـــواضعـــه … منزهـــــا عن تبذل ادبـــــي

يـــا سائـــلا من انا وما نسبـــي … خذهـــا اذن صورة لمفـــترب
نسر عـــلاء لبـــنان اطلقـــــه … والوكن « غرزوز » مطلع الشهب

الولايات المتحدة … نعمة الحـــاج

أنا الذي نظـر الاعمى الى ادبـــي … واسمعـــت كلمـــاتي مـــن به صمم

وقولـــه :

واني لمـــن قوم ... كان نفوسنـــا … بها انف ان تسكن اللحم والعظما

وقولـــه :

لولا مفارقة الاحبـــاب مـــا وجـــدت … لها المنايـــا الـــى ارواحنا سبـــلا

وفاتهم ان يدركوا انه كان في الاول يجيب علـــى السؤال « من انت ؟ » .. لا على السؤال « من الذي نظر الاعمى الى ادبه ؟ » ، وفي الثاني كان يعتبر الحكم ساريا عليه كسريانه على قومه ، لا ساريا عليهم وحدهم دونه ، وفي الثالث لم يكن تخطئتهم له الا لمجرد تطبيق ما وضعوا من نظرية في الضمير العائد الذي لا يتقدم على اسمه ، وان خالفهم الواقع لا في لغة العرب وحدهم بل في جميع لغـات الناس .

وخلاصة القول ان بين اللغات الانسانية نوعا مـــن وشائج القربى وصلات النسب ، وعلى المهتم بلغة الضـاد ان يسلح نفسه بثقافة اجنبية ستفيده حتما في نظرته الى لغته القومية وتفهم اسرارها .

وان هذه القواعد التي وضعها سيبويه لم يقصد بها ان يجنب الاعراب الخطأ في لغتهم وانما كان الغرض منها ان يجنب الاعاجم اللحن ، وفي سبيل تيسيرها وقع فـــي تناقض كثير ، لانه اراد ان يقومها بالمنطق .

وان قواعد اللغة ـ عند وضعها ـ لا يمكن ان تكون غاية في حد ذاتها ، ولو انصف النحاة لاعتبروها وسيلـة لفهم اسرار اللغة ، حتى في كل ما جاء على وجهين مـــن باب الجواز ، كما في قول أم عقيل وهي ترقص طفلها :

انـت تكـون مـاجد نبيـــل … اذا تهـب شمـــال بليـــل

لا مجرد الاكتفاء بالقول « ان (تكون) هنا زائدة »، فهي قد خصته بالصفتين في حاضره وفي مستقبلـــه خلفـا لابيـــه .

وان اللغة المنطوقة تلقائيا هي الاصل في تفهم اللغة واستنباط قواعدها ، لانها تظل حية ابدا ، كما توصل الى تقريره العلماء المحدثون في دراساتهم اللغوية .

واخيرا ، انا اؤمن باختلاف اللغات عند العرب ، واعتبرها كلها حجة ، كما ارى ان ما جرى على نسق كلام العرب فهو من كلام العرب .. قياسا او شذوذا .. ولا يجوز ان يتحكم المنطق الذي مجاله الفلسفة فـــي اللغـة التـــي ميدانها الحياة .. والسلام عليكم .

البحرين … ابراهيم العريض

الشاعر الحجازي ابراهيم هاشم فلالي

١٣١٥ – ١٣٩٤ هـ ١٨٩٦ – ١٩٧٤ م

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

في العاشر من يوليو ١٩٧٤ ، العشرين من جمادي الاخرة ١٣٩٤ هـ ، وفي القاهرة ، توفي الشاعر الحجازي الكبير ، ابراهيم هاشم فلالي .. وتوفي قبله باكثر من عامين زميله ورفيق حياته الشاعر الحجازي الخالد حمزة شحاتة .. طيب الله ثراهما .

والشاعر الفلالي كان شخصية دمثة الخلق ، مهذب الطبع ، رقيق الحاشية ، واسع الافق ، ممتد الثقافة ، وقد قضى قبل وفاته ، عدة سنوات في شبه عزلة للمرض والسن ، فقد توفي عن نحو الثمانين عاما الا قليلا .

ولا تزال كتبه ذخيرة رفيعة في الفكر والدين والادب، ومنها : رجالات الحجاز – اين نحن اليوم ؟ – لا رق في القرآن .

وقد الف رحمه الله منذ نحو العشرين عاما كتابا جليلا في النقد ، يعد من اول واهم ما كتب في النقد في الادب السعودي المعاصر ، وعنوانه « المرصاد » ، وقد طبع في ثلاثة اجزاء .

وله من الدواوين : الحاني – صدى الالحان ... وآخر ديوان له هو ديوان « طيور الابابيل » ، الذي صدر في القاهرة عام ١٩٧٢ في ست وثلاثين ومائة صفحة من القطع المتوسط عن شركة الطباعة الفنية المتحدة .

وفي ديوان « طيور الابابيل » نرى شاعرا واضح الشخصية في شعره ، متعدد جوانب الشاعرية ، عميق الثقافة ، يحاول ان تكون له فلسفته الخاصة في الحياة وتزداد معرفتنا به وضوحا عندما نقرؤه في قصيدته «من وحي المشيب« (ص ٨٨ – ٩٤ من ديوان «طيور الابابيل») التي يقول فيها :

كم سهرت الليل . . . .
واحلت الجدب خصبا   والليالي السود فجرا
وقضيت العمر لهوا   وابتسامات وشعرا
ثم شاب الرأس حتى   صار طعم ..... مرا

ثم يقول :

لا تقل : اني جريح   مثخن طعنا وغمزا
لم الاجراح والبس   فوقها صوفا وخزا
عاشق العلياء يحيا   الكفاح المر رمزا
يحمل الآلام لكن   خطوه يختال عزا

والقصيدة طويلة ، وفيها حنين دافق ، وعاطفة صادقة ، واحساس عميق بالحياة والحب .

وفي قصيدته حنين (٤٧ – ٤٩ طيور الابابيل) يصور الشاعر حنينه الى البلد الحرام وطنه ، ويقول منها :

حنين يفلق الحجرا   اذا العاني به جهرا
احس بأضلعي انصهرت   ولم المس لها اثرا
وقلبي اين ؟ لا ادري   لعل شغافه انفجرا
وما كنت الذي يبدي   لجرح نازف خبرا

ويستمر في الحانه فيقول :

فيا ربي شعاع الشيـ   ـب في فودي قد ظهرا
وجسمي في سرى الايا   م من احداثها ضمرا
فهل لي ان ارى الاعلا   م والاستار والحجراء
وانظر مسجد الهادي   والثم قبره العطرا

وكذلك نجده يصور مشاعره وآلامه وحياته في قصائده : على ضريح امي (ص ٧٢ الديوان) – خواطر حزينة (١٣١ – ١٣٣) التي بكى في اولاهما امه ، وفي ثانيتهما اخاه ، حيث يقول في اخراهما :

ابكي لحظي في الحيا   ة وكم بكيت لما اجد
اجد الحياة تشوب عيـ   ـشي بالمرارة والكمد

ثم يقول فيها ايضا :

لم يبق لي غير المشيـ   ـب وغير جسم قد ذبل
ومشاكل قد اثقلت   راسي ، وما خضعت لحل
لكنني امشي كما   يمشي الانام الى العمل
للخبز ، للماوى ، لتبد   يد السآمة والملل

وفي قصيدته « ما سلونا » يتفجر حبه وحنينه الى وطنه ، ويقول فيها :

يا حبيبي لا تبال   ما يقول الناس فينا
نحن قوم قد شعرنا   بالذي لا يشعرونا

ثم يقول :

يا حجازا طال صبري   للحمى والحائمينا
زاد شوقي في مقامي   لمقام الخاشعينا
لصحاب لم يزالوا   في فؤادي جاثمينا
لجبال كم صعدنا   لذراها لاعبينا
ورحاب كم جلسنا   في رباها ناعمينا
ومجال قد غفونا   في سناها آمنينا
وليال كم سمرنا   في دجاها ضاحكينا
يا حجازا لست سدا   في وجوه العاشقينا

وفي قصيدته « لا تيأس » يصور الشاعر غربته ، ويصف اباءه وعزة نفسه حيث يقول :

الم ترنا بوادي النيـ   ـل احياء وما زلنا
شدادا في مسيرتنا   صلاب الرأي ما لنا
وان جفت موائدنا   ولم نطعم بها سمنا
فان الحر لا يحيا   ليملأ بطنه دهنا
فما جعنا ولا جاعت   مشاعرنا من المعنى
وان الجدب كل الجد   ب ان نحيا وان نفنى
بلا قلب ، بلا حس   كشيء ما له معنى

ان الشاعر ابراهيم فلالي ماثل في مختلف قصائد ديوانه ، التي تنم عن شخصيته ، وتعبر عن شاعريته

وتنطق بموسيقاه وألحانه وصوره وأسلوبه في وضوح شديد .

وديوان « طيور الابابيل » يحتوي على عدة تيارات فنية كبيرة .

١ – فالتيار الاول تيار فكري ، يتمثل في قصائده:

أ – رحلة آدم (ص ١٠) : التي يتحدث فيها الشاعر عن رحلة الانسان الى القمر ، ويتمنى فيها لو انه عني بدعم السلام عنايته بتحقيق مطامعه ، والسعي الى مآربه ومنافعه .

ب – الارض المضيئة (ص ١٩) : التي تمنى فيها لو ان انسان القمر عني بكشف اغوار نفسه ، قبل كشف اغوار القمر ، ويدعو فيها الانسان الى ان يحرص على الايمان بحق الشعوب في العيش في ظلال السلام والعدالة ، ويقول فيها :

ليس الحضارة والسلام بان تكو ... ن محلقا فوق الكواكب والقمر
وبنو الحياة كانهم في غابة ... الحكم فيها للنيوب وللظفر

جـ – الناس اخوان ص ٦١ وفي مطلعها يقول الشاعر :

جميع الناس اخواني ويسعدني ... وجودي بين اخواني مدى العمر

هـ – وفي قصيدته « يا بني آدم » (ص ١٠٤) يقول :

ابناء آدم كالسطور على الثرى ... صور تزول واخريات تكتب
وتوهجت ظلم الحياة باسطر ... وبنورها الوهاج سار الموكب
بقيت معانيها تضيء حياتنا ... اما السطور فقد طواها الغيهب
فكن المعاني الخالدات ولا تكن ... سطرا يلوح على التراب ويذهب

ثم يقول كذلك :

حطم قيودك لا تكن مستخذيا ... فوق التراب ، ولا تكن مثل التراب
فالله اعطاك الكرامة والحجا ... فعلام يخدعك السراب عن الصواب
فاصعد بنفسك في السماء محلقا ... واجعل مواطئك الكواكب والسحاب
ما انت في الكون الرحيب سوى حجاه ... ومن حجاك تضوات هذه الرحاب

و – ويتحدث الشاعر في قصيدته «لفتة محزون » ص ٩٨ من الديوان عن الكون ودلالته على وجود الاله فيقول :

وسل الفضاء الرحب كيف تساوقت ... في بعده الجبار هذي الانجم
هل ند هذا الكون عن ظلماته ... من غير قدوس يجل ويعظم
هل روعة التنظيم كانت صدفة ... وبقاء هذا النظم فيها محكم
فالكون جاء مسيرا بارادة ... كبرى تدير شئونه وتقوم
آمنت يا ربي وانت مهيمن ... فوق الوجود وانت انت القيم
من كان يجحد من يدبر امره ... ففؤاده بيد الجحود معتم
ان الحياة مع الممات تفاؤل ... والسر فيها للكمال متمم

ز – ومن قصائد هذا التيار قصيدته : ليست الحياة من التراب (ص ٢٣ من الديوان) ، وقصائد اخرى .

٢ – والتيار الثاني تيار ديني اسلامي يتمثل في قصائده : من وحي الاسراء والمعراج ص ٦٤ – بمناسبة الاسراء والمعراج ص ٥٢ – الله اكبر ص ٧ .

وفي قصيدته « العلم والدين » يوضح الشاعر ان الدين صديق العلم ، فيقول :

لو حارب الدين العلوم لما حبا ال ... علماء دون سواهم العلياء
لكنهم ان اطفأوا مصباحهم ... بيد الضلال وحالفوا الظلماء
كانوا كمن لعب الخمار برأسه ... فمضى يعربد عائثا عداء

ويقول :

ما قيمة العلماء في هذا الورى ... ان صيروا صرح العلوم ركاما
وقضوا على امن النفوس واغمضوا ... عين الصباح ، وحطموا الاحلاما
ما الكهرباء وما البخار اذا الشعو ... ب رأتهما لا ينجبان سلاما

٣ – والتيار الثالث تيار انساني نراه ممثلا في قصائده :

الجلد الابيض (ص ١٦) ، التي ندد فيها بالتفرقة العنصرية – لعبة الاقدار (ص ٣٨) ، التي ندد فيها بالدول الكبرى المفتونة بقوتها ، والتي تحارب السلام بدعوى المحافظة على السلام ، وينذرها الشاعر بمثل مصارع الامم السالفة – قصيدة « الراعي والقطيع » (ص ١٦) التي ندد فيها بصنيع بعض الدول الكبرى في حرب الشعوب ، وفي القضاء على الامن الدولي .

٤ – والتيار الرابع تيار قومي ، ويشمل قصائد كثيرة ، اعلن الشاعر فيها اعتزازه بالعرب وبالعروبة ، ومنها : العروبة ص ١٣ – يا ايها العربي ص ٢٧ – اثر النكسة ص ١١٠ – من وحي العاصفة ص ١٠٨ – يا شعب محمد ص ٥٧ .

٥ – والتيار الاخير تيار عاطفي وجداني يتمثل في قصائده : صدى الاطلال – يا حبيبي والتقينا – ذكرى ... وغيرها من القصائد .

يقول الشاعر في قصيدته « التقينا » ص ٩٥ من الديوان :

لا نبالي ان قضينا العمر حبا ... وهياما بين اخذمني وهات
قد محونا في لقانا كل سطر ... كان وهما من اساطير الوشاة
فابتسم لي يبتسم قلبي وعقلي ... فابتسام الحب احدى المكرمات
ثم غني كي اغني في ابتهاج ... والتقينا بعد آلام الشتات
وفرحنا والتقينا

ويقول في قصيدته « ذكرى » ص ٨٢ :

هلا ذكرت مساء يوم حالم ... وانا وانت نسير في الوادي النضير
والليل يزحف والنجوم تبرجت ... مثل الحسان لرؤية القمر المنير
فاطل من عليائه متهاديا ... يلقى اللجين على الخورنق والسدير
والسحب تتبع خطوه وتضمه ... بردائها فيغيب في الافق الكبير
هلا ذكرت الليل وهو يلفنا ... ويلف هذا الكون بالمسك المذاب
وانا وانت كأننا في جنحه ... امل الحياة يلوب في صدر الشباب

وهي صورة شعرية يتجمع فيها الخيال والنغم والموسيقى ، ويتماوج فيها اللفظ والشكل والفن والمضمون في وحدة وثيقة .

وقصائد الديوان لا ينهض فيها الشكل بغير المضمون ولا المضمون بغير الشكل ، وتسودها وحدة فنية كاملة ، وكثير منها يأتي على شكل الرباعيات ، وهو نمط شعري اخف من النغم ، واكثر صلة بالموسيقى ، واطوع على اداء معاني الشاعر والحانه .

وشعر الديوان ثري بالتجارب الشعرية العميقة ، وبالعاطفة الانسانية الصادقة ، ففيه حرارة الشعور ،

اما تدري؟

*

اما تدري ؟ امـــا تدري امير احبتـي السمر
امـا تدري ، وقد ليت .. كـم يفتات من عمري
وجفن صـب في جفنـي شـلالا من السحـر
وفي جنبـي، يا جنبي ، جمـرا .. ايما جمـر
نفـذت بليلة ليـلاء للاعمــاق من صـدري
تهـل بهـذه الافـاق من كون ، ايـا فجـري
ويهمـي الطيب تحمــله نسيمات به تسـري
وتنشــره عـلى الواحـات والاثمــار والزهر
عبـيرا طيب الانفــاس ، قالوا .. باح بالسر
وذاع هـواي من صـــدر ومن زهر ومن شعـر
وذاع ، وذاع اني بـــات منك الحكم في امـــري
وتخذلنـي؟ خذلت هواي .. كيف اتيت بالعـذر
كـاني ما برانـي الشـوق في مـــد وفي جـزر
بلـى ! ودحرت في رؤاي مـــن احـلامي النضر
بلى! وحطمـت في مغناي تمثالا مـــن الـــدر
انـــا ادري بانـــي منك احيـــا في الرؤى الزهر
انا ادري بانـي في شتـات لحـاظك الغـــر
باني في لهـــائك بـــت ، في عتق وفي اســر
انا ادري .. ولكن ، كيف صغت العذر؟ لا ادري

امرة الحوماني

الى بلاغة الصور الشعرية الجديدة الغريبة من الواقـــع والحيـاة .

والشاعر ابراهيم هاشم فلالي في هذا الديوان ،بل في جملة شعره ، يجمع الى رهافة الحس صفاء النفس ، والى جمال الخلق رقة ودقة الذوق والى جمال الشكـل جلال المضمون . ونستطيع ان نقراه في هـذا الديـوان الاخير وحده بشغف ولذة ومتعة . لانه يحمل حكمــة شاعـر شيخ وتجاربه الكبيرة في الحياة ، وافكاره فيـه ثمرة الاحاسيس النبيلة والعواطف الجميلة في الحياة .

وكان الشاعر يعد قبل وفاته ديوانا جديدا لـــه ، عنوانه « غناء في الصحراء » ، ولكن القدر لم يمهلـه حتى يرى ديوانه الجديد النور .

وكم يجمع شعره بعامه ، الى جدة الفكر عمـــق الاحساس ، والى نبل الشعور جمال الصـور والاراء والتعبير .

لقد كان الفلالي ــ رحمه الله ــ احد رواد الشعـر الحجازي المعاصر ، وعلما من اعلام الشعر في المملكـة العربية السعودية ، يحلق به الخيال على جناح الشاعرية الى ارفع افق ، ويسير به التجديد على نهج العمودية الى اجل مجالات الابداع والتصوير .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



بقلم جمعه محمد جمعه

.. جاء بالامس من القاهرة ، في زيارة مفاجئة للاسرة .. استقبلوه كعادتهم بالترحاب والحب .. ساعة واحدة وتبدلت الامور تماما .. فقد جاء عمه حميد ودعا الاسرة كلها الى حضور حفل خطوبة ابنته عايده الى رجب .. احد ابناء القرية .. كانت الدعوة مفاجئة مثيرة .. فاصابت الاسرة كلها بالوجوم .. قال الاب بعد انصراف اخيه منحيا باللوم على شعبان :

ــ اتدري لماذا فعل ذلك ؟ ..نكاية فيك يا شعبان ..

واكملت الام وهي تجز على اسنانها :

ــ وفينا ايضا ..

شعر شعبان بالاضطراب .. فحتى اسبوعين مضيا كان عمه يعلن عن رغبته الشديدة في تزويجه من عايده .. ويضع بين يديه كل ثروته الضخمة وممتلكاته التي تزيد عن نصف ممتلكات اهل القرية جميعا .. واعلن استعداده لاعداد ابنته للزواج دون مطالبته باي شيء من التكاليف .. فشعبان في مكانة ابنه وعايده ابنته .. ولكن شعبان رغم كل هذه المغريات .. تنصل وهرب عائدا الى القاهرة مقر عمله .. معلنا لاسرته رفض هذا الزواج لافتقار عايده ابنة عمه الى الجمال الصارخ الذي يهفو اليه .

ثار عليه ابوه وامه واغتاظ اخوه .. بكتوه جميعا برفض نجوى الزواج به .. نجوى التي اختارها بنفسه وارسل من يطلبون يدها .. نجوى جميلة .. رآها اجمل فتيات القرية .. حاصلة على شهادة متوسطة تعادل شهادته .. ارادها زوجة له رغم قلة امكانيات اسرتها بالقياس الى امكانيات اسرته .. لكن جمالها جعله يتغاضى عن هذا الفارق وفوارق اخرى هو نفسه يعرفها دونهم جميعا .. فعائلتها من تلك العائلات المنقسمة على نفسها .. فيها الاسرة الصالحة وفيها الاسرة الطالحة .. فيها تنازع الاسر لاتفه الاسباب .. فيها الاسرة التي تكيد بالاخرى .. والاسرة التي تشي باسرار الاخرى .. والاسرة التي تنشر الشائعات عن الاخرى ..وكان يعتقد ان اسرة نجوى تختلف عن باقي اسر عائلتها لذا اراد نجوى زوجة له ..

وجاء ردها صفعة فوق وجهه البشوش الضاحك .. فجعلته في لون الارض قتامة .. قالت لرسله اليها :

تلقى شعبان اهل قريته مندهشا .. كل من يلقاه يهرول ناحيته ويشد على يده مصافحا مهنئا :

ــ الف مبروك يا استاذ شعبان .

تحولت دهشته فوق شفتيه الى ابتسام ساخر .. فقد اشيع في كل القرية انه ذهب لرؤية العروس التي اجمعت اسرته على اختيارها ..وتم الاتفاق مع اسرتها ..

عاد شعبان الى البيت وكان الوقت متأخرا .. فوجد اباه يعد نفسه للنوم ، وكأن الرجل استيقظ لتوه .. اتسعت عيناه .. ودب النشاط في بدنه كله .. ايقظ الام والاخ الاكبر .. واجتمع مجلس الاسرة للوقوف على راي شعبان في العروس ..

ضحك شعبان ضاربا يدا بيد وقال سائلا والده :

ــ من اخبر اهل القرية بذهابي ؟

قال ابوه في لهفة من امره :

ــ ليس هذا مهما .. المهم هل اعجبتك العروس ؟

قال شعبان بعد شرود طفيف :

ــ سأخبركم برايي في الصباح فانا الان متعب .. ابغي الراحة ..

قالت الام متبرمة :

ــ وهل تظن ان احدا منا سيغمض له جفن .. وماذا لو اخبرتنا الان ؟

قال والده استكمالا لكلام الام :

ــ ليكن في علمك يا شعبان ... هذه آخر مرة اقف فيها الى جانبك في هذا الموضوع .. واذا لم توافق فاني والله العظيم نافض يدي من امرك تماما .

وقال اخوه متمما حديث الوالد :

ــ وانا ايضا .. فلا اجد اي مبرر لرفضها .. ولا اي مبرر لعدم زواجك للان ..

واقسم الاخ يمينا بالطلاق من زوجته بأن لا يكون لشعبان اخا بعد اليوم اذا رفض ..

وجد شعبان اسرته كلها تربط مصيره بهذا الزواج .. وتابعهم بنظراته وهم يتسللون في بطء وارتخاء الى حجراتهم واحدا وراء الاخر .. وكل منهم يلقي كلمة او كلمتين فيهما تهديد .. أو وعيد .. او رجاء .. وتوقف الاب بالباب وقال في حنان خالص :

ــ سامحني يا شعبان يا ابني ..

رفع شعبان اليه عينين متسائلتين :

ــ عما اسامحك يا ابي ؟

ــ ان بعض الظن اثم .. كان تأخرك سببا في ظني بأنك عدت الى لهوك ولم تذهب .. وذهبت الى اي مكان اخر للهوك ومرحك ..سامحني يا ولدي ..

ــ وهل املك غير السماح يا ابي؟

بقي شعبان في الحجرة وحيدا



ـ انا اتزوج شعبان.. اريد زوجا يليق بي .. انا نجوى .. انا اجمل بنات القرية ومتعلمة .. ثم ان مرتبه لا يساعد على فتح البيت الذي اتمناه ..

تلقى شعبان هذه الصفعة .. وتبعتها صفعات اسرته .. فأبوه عنفه :

ـ هذا ذنب عايدة ..

وامه تؤنبه :

ـ هذا رادع لخروجك على ارادتنا .. لعلك تفيق من طيشك وغرورك ..

وقال اخوه :

ـ لطخت وجوهنا بالوحل .. بأي وجه نلقى اهل القرية .. لو كنت ابني لخنقت انفاسك ..

تلقى شعبان كل هذه الصفعات ببسمة ساخرة لا تفارق شفتيه .. كاد يصرخ معبرا عما في اعماقه قائلا : « لا اريد الزواج .. لن اتزوج » .. لكنه كتم صرخته في صدره خشية فقد اسرته .. فما زال رغم ابتعاده عنها خمس سنوات او يزيد يحترمها .. ولا يمكنه الاستغناء عنها .. تلقى كل الصفعات راضيا صاغرا .. وحينما قام لوداعهم تبدد كل ذلك الغضب وتمنوا له السعادة .. وشدته امه من اذنه قائلة :

ـ سأختار لك عروسا واياك أن ترفضها ..

واختارت امه العروس ، واتفقت مع امها .. وجاء شعبان والحت عليه الاسرة كلها في زيارة اهل العروس لرؤيتها .. تنصل كعادته من اصطحاب ابيه او اخيه او امه .. وقرر الذهاب بصحبة صديقه علي ... ووافقت الاسرة على مضض .. اخذ من ابيه العنوان وذهب مع صديقه علي .

تلقته الاسرة دون سابق معرفة .. فقدم اليها نفسه وساعده صديقه علي .. فهو يعرف رب الاسرة .. جلسوا جميعا في حجرة الصالون.. تجاذب علي والمضيف الحديث عن القرية ، وعن ذكريات المضيف فيها قبل رحيله عنها منذ عدة سنوات ارتباطا بعمله .. وشعبان صامت .. ينظر ولا يرى .. يسمع ولا يفهم .. يرد كلمات المجاملة كببغاء في قفص يردد ما يقوله له صاحبه .. جلست الام امامه وعيناها لا تحيدان ابدا عنه .. دخلت بناتها واحدة وراء الاخرى .. يعدون مائدة الغداء ... شمل شعبان كل واحدة منهن بنظرة .. ولم يعرف ايهن ليلى عروسه التي اختارتها له امه ..

جاءت احداهن وجلست الى جواره .. نظر اليها متفحصا .. لم يعجبه قوامها .. فقوامها يعيبه الطول .. وزاد عيبه النحافة .. طويلة مثله .. نحيفة مثله ،وغامت عيناه وسقط في غفلة منه الى اعماق نفسه .. ليست هي الزوجة التي ينشدها .. ليست هي التي تكمل النقص الذي يعانيه .. جمالها هادىء وهذا يعجبه .. لكن قوامها لا يعجبه .. اذن لم تحسن الام الاختيار رغم علمها بمواصفات الفتاة التي يريدها .

واجتمعوا حول مائدة الغداء .. بلوك شعبان الطعام باسنان فقدت حدتها .. لا تقدر على قطع قطعة الخبز .. اضراس لا تقدر على طحنها .. شعر بالصداع الحاد يدق كمطارق جانبي رأسه .. وصوت قضم قطعة اللحم اعلى من صوت ارتطام الملعقة بطبق « الشوربة ».. نفض كفيه دلالة على انتهائه من الطعام .. وشكر مضيفه .. وقام للاغتسال .

بعد الانتهاء من تناول الغداء اجتمعت الاسرة للاحتفاء بضيفيها بكامل افرادها .. يتناولون البرتقال والموز .. وشعبان يعالج صداع رأسه باجفال جفنيه .. لم يستطع مداومة الاحتمال فطلب كوبا من الشاي وقرصا من الاسبرين .. قال الاب موجها امره الى احدى بناته :

ـ اعدي الشاي يا ليلى .. واحضري قرصا من الاسبرين ..

تطلع شعبان تطلعا مفاجئا الى ليلى التي نهضت .. اصيب قلبه بالذعر ، وارتفع صوت ارتطام نبضاته ببعضها .. ونقل بصره بين التي جلست الى جواره منذ هنيهة وسببت له الاصابة بالصداع .. راى ليلى وتعرف عليها .. انها هي العروس وفعلا اصابت الام توفيقا باختيارها .. وتطلع تجاه باب الغرفة في انتظار عودتها .. وتذكر كلمات والده له :

ـ لا يوجد بها اي عيب سوى سنتين في جانب فكها السفلى .. تحتلان مكان ثلاثة اسنان .. سنتان عريضتان بعض الشيء .. لكن ذلك لا يعتبر عيبا ..

دبت الى نفسه الشجاعة ..وقرر ان يحاول التحدث اليها .. وعليه ان يسلط عينيه على فمها .. ليرى بنفسه اسنانها ..

لم يكلف شعبان نفسه مشقة بدء الحديث .. فقد جاءت ليلى وبيدها اليسرى كوب ماء وفي اليمنى قرص الاسبرين .. قدمتها اليه قائلة في ابتسام :

ـ تفضل يا استاذ شعبان ..

ـ شكرا ..

قالها وشعور بالارتياح يغزو صدره .. وجهها جميل .. قوامها متناسق ومناسب .. طولها مقبول وانغمس في حديث مع نفسه وهو يرشف من كوب الشاي رشفة وراء اخرى .

« لما كل هذه المشقة يا شعبان .. الفتاة جميلة .. وتلقتك اسرتها بكل ترحاب .. علامة القبول واضحة على شفاه كل افرادها .. هي لك .. هي لك اذا قلت موافق .. امها تنظر اليك منذ جلست الى مقعدك ..تود قول شيء ، تحدث اليها ، افتح فمك وقل كلمة .. انك نفسك تريد مجاذبتها اطراف الحديث .. ليلى تنظر اليك .. تفحصك هي الاخرى

كما فحصتها ، انظر اليها ، ابتسم لها ، صديقك لا يكف عن الثرثرة قطعا للوقت .. يدعوك هو الاخر بثرثرته الى قطعها .. الى الكلام المفيد .. لا فائدة .. مقعدك كاد ينطق من كثرة تململك .. تارة تضع الساق اليمنى فوق اليسرى .. وتارة تضع اليسرى فوق اليمنى .. تارة تسند ظهرك الى الوراء .. واخرى تميل على مسند المقعد الجانبي .. »

اخرجه المضيف عن شروده قائلا في ترحيب :

ــ اسعدنا لقاؤك يا استاذ شعبان ..

ــ شكرا ..

هم علي واقفا متهيئا للانصراف .. وكأنه شد شعبان بخيط لا يبين فهب واقفا هو الاخر .. صافح شعبان الاسرة .. وخرج بصحبة صديقه وتبعهما المضيف لتوصيلهما.

قال المضيف مكملا لحديث قطع بخروجهم من البيت :

ــ حصلت ليلى على شهادتها .. آمل ان اجد لها عملا ..

قال علي ناظرا بعينيه تجاه شعبان غامزا بطرفها :

ــ عريسها يلحقها بعمل معه في مصر .. او لا يلحقها باي عمل اذا اراد ذلك ..

كانت هذه الكلمات ايذانا بفتح شهية المضيف للتحدث عن زواج ابنته .. فأخذ يعلن عن ترحيبه البالغ .. وضمن ترحيبه وحفاوته استجابة الاسرة كلها لطلب الاستاذ شعبان .. وتطلع الاثنان اليه .. قال شعبان :

ــ ما دمنا قد بدأنا الحديث .. فارجو ان اقول كلمتين ..

قال المضيف بلهفة :

ــ تفضل .. قل ما تشاء ...

بدأ شعبان حديثه قائلا :

ــ طبعا لم يسبق لنا التعارف .. فهل تسمح لي بزيارتك ..

ــ بكل سرور .. زرنا مع اسرتك .. بكل ترحاب وسرور ..

ــ لا .. سأزورك وحدي .. لقد اعجبت بك .. وتروق لي صداقتك .. اني احب التعرف الى اصدقاء .. في اي مكان .. وفي اي بلد .. سأزورك زيارة صديق لصديقه ..

ــ على الرحب والسعة ..

قالها المضيف مترددا .. وتصافح شعبان ومضيفه .. وكل منهما يضع فوق شفتيه ابتسامة ساخرة ..

وفي طريق العودة اخذ علي وشعبان يتبادلان الحديث .. علي غاضب لكلام شعبان .. والاخر يفكر فيما يقوله لاسرته ..

وكان بعد عودتهما ما كان .. من لقائه باهل قريته والتهاني التي انهالت عليه كصفعات تدير رأسه يمنة ويسرة .. ولقائه باسرته .. ثم ارجاء اعلان رايه الى الصباح ..

★

سيطرت على مشاعره نوبة حنين الى القاهرة .. الى حجرته التي يستاجرها في بيت من بيوت المطرية .. وارتفع صوت ضوضاء المدينة .. تموج الحركة فيها كشلال متدفق .. التي شهدت لهوه وعبثه منذ جاء وتسللت روحه الى تلك الحجرة الى القاهرة .. وتراءت له دنيا النفوس .. الفتاة السويسية التي تعيش في الحجرة المقابلة لحجرته عبر الحارة الضيقة .. دنيا التي سيطرت بجمالها وفتنتها على كل تفكيره .. رأى فيها قمة الجمال الذي ينشده ، وروعة الحب الذي يتمناه .. منذ ان جاءت مع اسرتها المهاجرة وهي تشاغله بنظراتها .. وبسماتها .. لا يستحب لها تمشيط شعرها الاسود الطويل الا امام النافذة .. ولا يروق لها الحديث الا بصوت مرتفع يصل اسماعه .. ولا يحلو لها الغناء الا بمصاحبة المذياع في اغاني الحب والهيام ..

كالطير المهاجر يقطع المسافات الشاسعة طيرا الى موطنه .. تسلل شعبان مع انبلاج الصبح مخلفا وراءه اسرته النائمة تتصارع في نفسها الاحلام والاماني .. واستقل اول قطار ، عائدا الى القاهرة .. واستقل سيارة اجرة اقلته الى المطرية .. استكان في حجرته وكان اغترابه عنها كان وحشا سيفترسه .. اخذ ينظر الى محتوياتها البسيطة ويعانقها بنظراته .. يقلب في كل شيء .. خلع ملابسه وفتح النافذة .. مطلا على نافذة دنيا المغلقة .. اثارت النافذة المغلقة دهشته وخوفه .. فالساعة تدنو من الثامنة .. وليس معتادا ان تظل النافذة مغلقة حتى ذلك الوقت .. لم يحتمل الانتظار .. فهرول الى الحارة .. وعند البقال وقف يطلب علبة سجائر ويجاذب البقال الحديث ..:

ــ ما اخبار الحارة ؟

ــ لا جديد .. اكنت مسافرا؟

ــ نعم ..

ثم ابتسم البقال وقال :

ــ على فكرة .. هناك حجرة خالية اكثر اتساعا من حجرتك .. انك تعرفها .. امام نافذتك .. لقد رحل سكانها الى مدينتهم ..

ثم استطرد ضاحكا :

ــ اخيرا عادت الطيور المهاجرة الى اعشاشها ..

تحسس شعبان وجنتيه وقد شعر بلهيب من النيران يشويهما .. تناول علبة السجائر وعاد الى حجرته وحرارة جسده في درجة الغليان .. دس نفسه في الفراش وارتفع صوت هذيانه من اثر الحرارة المرتفعة .. هاذيا بآخر ما سمعت اذناه :

ــ الطيور المهاجرة .. اعشاشها .. الطيور المهاجرة .. الطيور ..

القاهرة جمعه محمد جمعه

الصوت الزائر

الى محمد عبد الوهاب

★

صوتك الآتي ـ الى دنياي ـ من شط الهموم
قادم ، في نبرة الذكرى على سيف الرجوم
قادم ، في مده الصادي تلاوين الكلوم
يعبر الماضي ، ويجري في شرايين التخوم
قادم ، تنمو بجنبيه عذابات النعيم
رافل ، في مسرب الازمان ، لجي السدوم

صوتك الآتي ، حضور الشوق ، في القلب الرميم
يجتني في البكرة ـ النجوى ـ تهاويل الرسوم
وانا ـ من ها هنا ـ افضي الى مسرى الوجوم
اهدم البعد ، واقصي العتم للوادي العقيم
ابحر الشوق الى دنياك في اليم العميم
اشعل الافق هتافات من الوجد اليتيم

صوتك الآتي .. جراح السر في الكون العظيم
في دمي منه ـ مدى الاحقاب ـ اشواق النجوم
انني ـ من ها هنا آتيك ...من عمق الغيوم
قادم ، من غابي النامي على هدي الكروم
وجهتي الحلم الذي احياه في آت ـ قديم
يقظة مثلى .. وعود الروح في سفح الرقيم

صوتك الحادي ، نداء الريح في الشعر الرجيم
يسبغ الانحاء ، يعطي الشجو للفكر السليم
في ضباب العشق يلقاني على اللحن الفطيم
أنهل التحنان من واديك ، في الليل البهيم
برهة ، نشوى .. وبعد البوح لا يصحو نديمي
.. كل ما في الكون ـ لولاك ـ سديمي الهموم

دمشق　　　　　　اسماعيل عامود



معجم الفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني : دراسة لغوية تاريخية

وضع الدكتور البير مطلق – (؟) صفحة – منشورات مكتبة لبنان ببيروت ١٩٧٤ – مطبعة (؟)

لم يشهد التاريخ عصرا اتسع فيه افق المعرفة كاتساعه في عصرنا الراهن ، ففي كل حقل من حقول النشاط الانساني تتلاحق التطورات تلاحقا سريعا مذهلا وتترى الاحداث لتدخل الى عالم الانسان العدد الغفير من جديد الالفاظ والافكار والادوات والآلات والنظم والقوانين والقواعد والفنون والعلوم ، وبات من المستحيل على الانسان المعاصر ان يلم بكل ما يحيط به نتيجة هذا التطور ونتيجة ما يستحدث ، على عكس ما كان عليه انسان القرن الثامن العشر في اوروبا الذي اعتقد انذاك انه محيط بكل شيء عالم بكل ما يدور حوله ان هو اطلع على ثقافة العالم القديم عن طريق اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة ، بالاضافة الى اطلاعه على النتاج العلمي المحدود الذي جاء بالانقلاب الصناعي .

وما دام الامر يختلف في القرن العشرين اختلافا جذريا فقد برزت في العصر الحاضر حاجة ماسة الى توفر المصادر والمراجع التي يمكن ان يرجع اليها لمعرفة ما تدل عليه الالفاظ الحديثة ، وتلك التي تحور معناها ، وتلك التي استمرت تحمل معناها القديم ونريد ان نتاكد من ذلك في عالم يتغير بين لحظة واخرى . وهكذا شهد العالم بصورة عامة اهتماما خاصا بالمعاجم على اختلاف انواعها ، من خاصة وعامة . وآخر ما صدر في اللغة الانجليزية قاموس بعنوان « معجم الانجليزية الجديدة ١٩٦٣ – ١٩٧٢ » A Dictionary of New Eng:ésh 1963 - 1972 والذي صدر عن دار اونجمان في نهاية عام ١٩٧٣ ، وهو معجم لا يتناول الا الكلمات الحديثة التي دخلت الى الانجليزية في مدة تسع سنوات فقط .

وقد شهد العالم العربي اهتماما بالمعاجم والقواميس لا يقل حماسة عما هي الحال في اوروبا وامريكا . وليست المعاجم نشاطا علميا جديدا علينا ، فنحن اول من اهتم بالدراسات المعجمية اهتماما حقيقيا رغم وجود معاجم متفرقة قديمة كتصنيف الالفاظ المتعلقة بالشعائر الدينية والتي حفرها الاشوريون والبابليون في قوائم راسية على قوالب الطين واودعوها مكتبة اشوريا نيبال الكبيرة في نينوى (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م.) والمعاجم اليونانية واللاتينية كمعاجم ابولونيوس الاسكندري وهلاديوس الاسكندري واريون وكلها وضعت قبل الميلاد . لقد كان العرب اول من اخذ دراسة المعاجم بجد ووضعوا لهذا الفن اصولا واحكاما ، ولعل المستشرق فيشر لم يبالغ حين قال « اذا استثنينا الصين لا يوجد شعب اخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجة الى تنسيق مفرداتها حسب اصول وقواعد غير العرب » . وليس ابلغ من قصة الصاحب بن عباد التي تحكي بانه رد على دعوة ملك من الملوك بقوله : « احتاج الى ستين جملا انقل عليها كتب اللغة التي عندي » لهذا ليس بمستغرب ابدا ان تقوم عندنا اليوم نهضة معجمية غنية فان تاريخ لفتناحافل بالمعاجم في كل باب فهناك كتب الحيوان والحشرات والخيل وخاق الانسان وكتب النوادر وفهارس البلدان والمواضع . واشهر المعاجم العربية « كتاب العين » للخليل بن احمد (١٠٠ – ١٧٥ هـ) و « البارع في اللغة » لابي علي القالي (٢٨٨ – ٣٥٦ هـ) و « تهذيب اللغة » لابي منصور محمد بن احمد الازهري (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ) و « كتاب المحيط » للصاحب بن عباد الوزير الاديب (٣٢٤ – ٣٨٥ هـ) و « كتاب المحكم » لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي (٣٩٨ – ٤٥٨ هـ) . ويتبع هذه المعاجم معاجم اخرى ، اهمها « لسان العرب » و « القاموس المحيط » و « تاج العروس » وهي معاجم مشهورة ومعروفة . وانتقلت صناعة المعاجم من اطراف العالم العربي، فتركزت لمدة طويلة من الزمن في لبنان ، فهذا معلمنا بطرس البستاني ينشر « محيط المحيط » و « قطر المحيط » في منتصف القرن التاسع عشر ويتبعه اللبناني سعيد الخوري الشرتوني بعد ثلاثين عاما ونيف بنشر معجمه « اقرب الموارد » وجرجس همام الشويري « معجم الطالب في المانوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية » ١٩٠٧ .

تستمر في لبنان النهضة العظيمة في صناعة المعاجم العربية وترسيخ اصولها ، وهو ما يبدو جليا في الاهتمام البالغ الذي توليه « مكتبة لبنان » في احياء المعاجم القديمة وتبني المعاجم الحديثة الرصينة ، ووضع الخطط والامكانات في متناول الباحثين . والعمل في هذا المشروع الجليل مستمر . ففي « مكتبة لبنان » الان معاجم تخرج الى المكتبات واخرى تحت الطبع واخرى في مرحلة الاعداد .

وقد لفت نظري من الحصيلة الهائلة للمعاجم التي نشرت اخيرا معجم فريد من نوعه يجدر بنا ان نتوقف عنده لاهميته البالغة ولانه يطرح علينا عددا من المسائل الثقافية والعلمية لا يجوز ان نتجاهلها .

هذا المعجم هو « معجم الفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني : دراسة لغوية تاريخية » للدكتور البير مطلق . والكتاب دراسة لغوية تاريخية لالفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني ، وينقسم الى جزأين رئيسيين : في الجزء الاول منه ترد المصطلحات مرتبة ترتيبا يصور نمو الحرفة ويظهر عملها بشكل متكامل ، واما في الجزء الثاني منه فقد رتبت المصطلحات ترتيبا الفبائيا ودرست من الناحيتين اللغوية والتاريخية .

وتكمن اهمية كتاب الدكتور مطلق بانه اول معجم يتناول حرفة شعبية في لبنان جمعا ودراسة ، ويمكن اعتباره معجما لمصطلحات الحرفة في ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي كله . فالمادة التي جمعها المؤلف غاية في الاهمية لانه جمعها بنفسه وحقق كل كلمة عن طريق التاكد من مصدرها وعن طريق اتصاله باهل الحرفة من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين . وللكتاب ، الى جانب اهميته كمعجم قائم بذاته ، اهمية لا تقل عن سابقتها وهي انه مثل لما يجب ان تكون عليه الدراسة الميدانية في الابحاث اللغوية فقد اخضع المؤلف الوسائل السمعية والبصرية جميعها لخدمة بحثه وليخرج بحصيلة هي غاية في الدقة بلغ مجموعها ستمائة وتسعا واربعين لفظة وانقسمت الى ثلاثة اقسام : ١ – ما له اصول قاموسية ، ٢ – ما اشتقاقه عربي ويتصل معناه بالاصول العربية ، ٣ – وما هو مستعار . ونلاحظ في المعجم ان الاثر الاكبر في الالفاظ الدخيلة هو للغات السريانية والفارسية والتركية واليونانية واللاتينية والايطالية والفرنسية والانجليزية . وبلغ مجموع الالفاظ الدخيلة مائة وسبعا وتسعين لفظة من اصل ٦٤٩ ،

فالالفاظ ذات الاصل العربي اذن اربعمائة واثنتان وخمسون لفظة . والعدد الكبير من الالفاظ التي يشتمل عليها المعجم يؤكد لنا ان لحرفة صيد السمك شأنا في اللغة وفي الحضارة لا يجوز اغفاله ، وان التراث القديم الذي تعود اليه هذه الالفاظ تراث ما زال حيا عهدا بعد عهد . اليست هذه الحرفة واحدة من اقدم الحرف التي عرفها الانسان ، ولم يأل الدكتور مطلق جهدا في خلق العالم الواسع الذي جاءت منه كل كلمة ادرجها في معجمه ، اذ يأخذ على عاتقه بشرح شرحا وافيا كاملا فينسب كل كلمة الى جذورها واصولها ولا يترك لنا ثغرة واحدة لتساءل ، وهو بذلك يصور طرق الاتصال المستمر بين حضارات مفرقة في القدم تضافرت واجتمعت تعبر عن نفسها من خلال هذه الحرفة القديمة ،وخاصة انها وجدت اصدق صور هذا التعبير في مركز من مراكز الحضارة القديمة ، الا وهو لبنان .

ويمتاز معجم الدكتور مطلق بانه معجم موثق بالفهارس ، فقد الحق به فهرستا عاما بالمصطلحات ، وفهرستا آخر بالمصطلحات الدخيلة ، كما الحق به رسومات لفلايك الصيد وصورا للالفاظ تمثل جانبا كبيرا من المصطلحات ، وعند كل صورة مصطلحها ورقم الفقرة المقابل في المعجم ، وزين الجانب الداخلي للغلاف بخريطة للساحل اللبناني تظهر المواضع التي اخذ منها مادة المعجم . كما انه وضع مقدمة باللغتين العربية والانجليزية شرح فيها خطة المعجم وقوم المصادر واظهر تداخل اصول اللغات المختلفة . وجعل الجزء الاول من دراسته مرقما في فقرات ليسهل الرجوع اليه عند تناول الدراسة اللغوية . وابتكر حرف القاف الذي تعلوه همزة ليدل على ان اللفظ بالهمز اما الاصل فالقاف ، مثل كلمة الفط وكلمة امط . وقد بذل المؤلف مجهودا كبيرا في التفتيش عن المصطلحات وجمعها ، وتنقل لذلك بين مواطن الصيد على طول الساحل اللبناني . وظهر اثر ذلك في دراسته اذ نجد اشارة الى الخلاف في المصطلح بين مكان واخر ، مع اتفاق المعنى ، حيثما وقع ذلك .

ولعله من المفيد في ابراز دقة المؤلف واحاطته ان نورد مثالا واحدا، وليكن كلمة « طنيسي » : يذكر اولا ان « طنيسي » في المصطلح هي اللوح الرقيق في فلوكة الصيد ويقع بين « الزنار ، العلوي و « الزنار» السفلي . ثم يحيلنا على الفقرة التي يرد فيها شرح المصطلح في الجزء الاول من المعجم ، ثم يقارن « طنيسي » بلفظة « طونس » التي وردت في كتاب « لحن العامة » لابن هشام ، ثم يذكر ان اصل طنيسي من اللاتينية Tenuis ويعدد معاني الاصل اللاتيني مستعينا بقاموس للغة اللاتينية الفه لويس وشورت ، ثم يذكر ان اللفظة مستخدمة في الايطالية وهي Tenue منقولة عن اللاتينية الام وبالمعنى نفسه ، ويستعين في تأكيد ذلك بقاموس للغة الايطالية الفه جارزانتي . ثم يذكر ان للفظة طنيسي مقابلا في مصطلح اهل البحر في الكويت هو « قيطان » ، مستنتجا ذلك من الشرح الذي قدمه جونستون في مقالة له باللغة الانجليزية للفظة « قيطان » . وبالشرح الذي قدمه عيسى القطامي للفظة نفسها في كتابه « دليل المحتار » . ويتضح من ذلك ان المؤلف يعتمد على مصادر قديمة وحديثة عربية وغربية ، ويقارن بين المصطلح المستخدم في الساحل اللبناني والمصطلحات المستخدمة في اماكن اخرى . ولقد سعى المؤلف جهده ، وحيثما اسعفته المصادر ، ليقارن المادة التي بين يديه بالمصطلحات في منطقة حوض البحر الابيض المتوسط بخاصة .

معجم الدكتور مطلق ليس معجما عاديا ، انه معجم للالفاظ الحية، ودراسة لهذه الالفاظ وعملية مقارنة وتحليل ، وهو من هذه الناحية يختلف عن سائر المعاجم في انه يعتمد على الالفاظ الحية المستقاة من اهل اللغة انفسهم ، وليس من بطون الكتب والمعاجم التي تضم عددا هائلا من الالفاظ التي تخلفت عن الاستعمال فماتت وعندي ان هذا المعجم ينبغي ان يلحق به عملان آخران : الاول ـ وضع معجم للحرف الشعبية كلها في لبنان على نسق معجم الدكتور مطلق ، ولا يتم ذلك الا بتضافر



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dle : 225139
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dir : 223819

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

جهود الجامعات والمؤسسات الثقافية . والثاني ـ دعوة الجامعات والمؤسسات الثقافية في الدول العربية الشقيقة لوضع معاجم للحرف الشعبية في العالم العربي ، يتم بعدها وضع معجم في المصطلح العام المقارن . وهذا امل طامح لا اشك لحظة في انه سيكون عظيم الفائدة في ميدان العلم بعامة ، وفي ميدان تقنين اللغة بخاصة .

واذا اردنا ان نعين فئة المعاجم التي ينتمي اليها هذا العمل العلمي الرصين الذي وضعه الدكتور مطلق يمكننا ان نقول بانه معجمان في معجم واحد فهو معجم اصطلاحي على نسق « الكليات » لابي البقاء و « التعريفات » للجرجاني ومعجم تاريخي نشوئي . فالكتاب كمعجم اصطلاحي يشرح المصطلحات والالفاظ وكمعجم تاريخي يتجاوز هذا الشرح الى بيان اصل الاصطلاح واشتقاقه وما يدور حوله من مسائل لغوية . والترتيب الذي اتخذه الدكتور مطلق هو الترتيب الذي لا خلاف فيه ولا تعقيد في المنهج ، اي انه ترتيب موضوعي ، فالالفاظ مدرجة بحسب العلم او الفن او الباب الخاص بنواحي الحرفة ، ثم تدرج حسب الترتيب الالفبائي . ويبدأ بالدراسة اللغوية المستفيضة في القسم الثاني من كتابه ، وهنا كما اعتقد ، يمكن اعتبار هذا المعجم بفضل المنهج الذي اتخذه المؤلف ، اساسا لذلك المعجم الكامل التاريخي الذي لا تزال تنتظر وضعه . فالدكتور مطلق يبين في كل كلمة متى صارت عربية وكيف وباي شكل وباي مدلول ، ويبين كيف تطورت الكلمة وما طرا عليها من معان ، ويلفت نظرنا الى ما هجر وما يزال باقيا ويشرح استعمالات اللفظ القديم . وفي كل هذا يبرهن المؤلف على قوله بشواهد عدة تمتد في الزمن بين القديم القديم والحديث الحديث ، فنجد الكلمة وكانها كائن حي يولد وينمو ويشتد عوده ويتغير لونه وشكله او كانها شجرة كلما ذبل فيها غصن نبت مكانه آخر . وفي كل هذا يعالج اصل كل كلمة على اساس الحقيقة التاريخية وحدها ووفقا لمنهج فقه اللغة الحديث ونتائجه ، وفي كل هذا يربط الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي .

اعتقد اعتقادا راسخا لا شك فيه ان معجم الدكتور مطلق حدث علمي خطير الشأن لسببين رئيسيين : اولا : انه اساس متين لاية محاولة في المستقبل لوضع معجم تاريخي نشوئي شامل للغة العربية ، فقد وضع لنا الدكتور مطلق منهجا سليما ورسم لنا الصورة التي يمكن لذلك المعجم ان يأخذه في معالجته للكلمة الواحدة . وبهذا فقد اسدى الدكتور مطلق لعلم المعاجم العربية خدمة يستحق منها عليها كامل الامتنان والاعتراف بالجميل . ثانيا : بعمله هذا الذي به اختار حرفة اصيلة من اقدم الحرف الانسانية وهي الحرفة المتصلة بالتراث الشعبي اللبناني وضع لنا الدكتور مطلق اساسا اخر للدراسات العلمية الرصينة في التراث الشعبي اللبناني (فولكلور) لا بل انه رسخ اصول العلم الجديد الذي نسعى نحن في دائرة اللغة الانجليزية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت لتدريسه ، الا وهو علم الحضارة اللبنانية ، ويمكننا من ان نسير في الخط الذي بدأنا باتخاذه من رغبتنا في تأسيس معهد الدراسات اللبنانية .

International Centre of Lebanese Studies

سهيل بديع بشروئي
رئيس دائرة اللغة الانجليزية وآدابها
في الجامعة الامريكية ببيروت

•

ديـوان الرافعي

ديوان الشاعر عبد الحميد الرافعي ـ ٢٥٠ صفحة ـ قطع متوسط ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ دار الحرية للطباعة (مطبعة الحكومة) بغداد

منذ نصف قرن وقراء العربية كانوا يتلهفون لحفظ شعر الطبيعة الصافية الذي كان ينشره شاعر الفيحاء (طرابلس الشام) عبد الحميد الرافعي ، والملقب ببلبل سوريا . وكان هؤلاء المتذوقون لادب الشاعر الكبير الرافعي يتمنون على اهله وابناء بلده ووطنه ، ان ينهضوا الى وجوب طبع ديوان الشاعر ، وسد تلك الفجوات التي كان يشعر بها طلاب العلم والدارسون ، من جراء وجود الديوان المخطوط فوق رفوف النسيان . وهكذا قدر الله ان ينهض او يتوسط الدكتور عبد المجيد الرافعي لدى وزارة الاعلام العراقية ، لطبع الديوان المذكور ، فكان في عمله المشكور موضع تقدير ، ذلك لان الشاعر الكبير الرافعي كان احد اعمدة شعراء النهضة كأمير الشعراء احمد شوقي ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وشاعر القطرين خليل مطران وغيرهم من شعراء العربية ، الذين اجادوا وافادوا المجتمع العربي بصفوة قرائحهم ، وهي وحدها كانت كافية لاحترامهم والاخذ بمواهبهم الفنية في شتى ابواب الشعر .

ولقد كانت ابرز قصائد الشاعر الرافعي في الغزل ، تلك القصيدة الفريدة الغزلية « عبرة الحب » والتي كانت ينبوع حياة وتعبير على السنة الادباء ، تهز مشاعرهم وتبعث في نفوسهم نشوة الروح الصافية ، والمحبة السامية ومنها :

سلوها لماذا غير السقم حالها   ترى شغفت حبا لا فما لها
تبدل ذاك الورد بالورس وانطفى   سناها ورقت فهي تحكي خيالها
اظن هوى الغزلان قد هد حيلها   فاني رأيت الريم يوما حيالها
تناجيه سرا وهي في زي واله   فخلت اخاها كان او كان خالها
فيا حب غلغل في صميم فؤادها   ويا رب لا تعطف عليها غزالها
ويا حبها بالله كن متدللا   وزدها كما كانت تزيد دلالها
وبالغ رعاك الله في طول هجرها   فكم هجرت صبا يروم وصالها
وكم من عليل في هواها لقد قضى   غراما وما القت لبلواه بالها
ولكن ارحها بعض حين فانني   شمت بها والقلب يأبى زوالها
ومن حب لم يبغض ولو حب هاجرا   فقد رق قلبي مذ رايت هزالها

ثم تبدو عاطفة الشاعر الكبير بكرامة النفس وبعد الهمة ، عندما يقول في منفاه :

وما نحن في تلك النوائب كلما   ذكت نارها الا كعود بمجمر
فانا اناس لا نبذل لمعتد   ولو سد عنا كل ورد ومصدر

ومن راي الشاعر الاخذ بطريق العلم لاصلاح المجتمع والافان :

الجهل واللهو ان داما فموعدنا   بالذل اقرب ما ياتي به الامد

ومما يذكر للرافعي بالاعجاب انه كان اكثر الشعراء الكبار احساسا بالقومية العربية ومفاخر الاجداد السالفين كقوله :

اهل الشجاعة والبراعة والوفا   والصدق والايثار والاحسان
جملوا الممالك تحت ظل سيوفهم   متظللين ذوائب المران
واستقبلوا الزمن العبوس باوجه   غر اضاءت غرة الازمان
وجنوا بغارات الصباح ممزة   كالجنة الخضراء في النيران
وتوطنوا رحب الفلا فتعلموا   سعة الصدور ورقة الغدران
وكفاهم شرفا عظيما انهم   عرب ومنهم سيد الاكوان

هذه بعض اللمحات الوجدانية من شعر الرافعي ، وهي قطرة من بحر من الالحان المنثورة والعقود المنظومة . ولا بد لنا في الختام من التمني على الناشرين والمتطوعين لخدمة تراث الشاعر الكبير الرافعي ، ان لا يقعوا بما وقعوا فيه ، من الاخراج البعيد عن الفن والمتخلف جدا عن الطباعة والنشر المعروف في بيروت عن الآثار الشعرية ، وطبع الديوان بجسم الحرف الصغير ، واكثر القصائد فيه مرصوصة وموضعة توضيبا تجاريا ، اما الاغلاط المطبعية فكثيرة جدا ، مما يدل او يعطي فكرة للقاريء على ان المصحح كان غائبا او جاهلا لبعض اصول اللغة العربية . ومن النقائض الغريبة ان يقال عن الديوان من سلسلة الشعر الحديث . وكذلك استبعاد بعض القصائد التي تحمل الاشادة بالثورة العربية الاولى على الحكم التركي ، وهي تدخل تحت مجهر امانة التاريخ للنهضة العربية لا لحكامها آنذاك . ولعل من اغرب الغرائب ان تستبعد تلك الصورة التي اشرنا اليها ، ويقر المشرفون قصيدة

« النفحة الروحية في حضرة الفوث الجيلى » وهو عنوان ياتي بكلمة « الفوث » في ابشع مظاهر الشذوذ الفكري والذوق الروحي والعلمي لتعابير اصبحت في حكم الانكار وعداد الاموات دون اكثار ولا اقلال .

طرابلس ـ لبنان محمد اديب غالب

•

الوان الحب الثلاثة

تاليف عبد السلام العجيلي ، وانور قصيباتي ـ ٢١٧ صفحة ـ نشر دار الكندي بدمشق ، ودار العودة ببيروت ١٩٧٤

الوان الحب الثلاثة رواية جديدة للاديبين الكاتبين عبد السلام العجيلي وانور قصيباتي ، واجتماعهما على تاليف رواية واحدة هو الحادثة الاولى من نوعها في تجربة الرواية العربية السورية (١) ، اذ لم يسبق للروائيين السوريين ان اشترك بعضهم او اثنان منهم في تاليف رواية واحدة الا هذه المرة ، في حين سبق ان اصدر عبد السلام العجيلي رواية « باسمة بين الدموع » عام ١٩٥٩ ، كما اصدر العديد من المجموعات القصصية التي تحوي على القصص المطولة ، والقصيرة (٢) كما سبق لانور قصيباتي ان اصدر رواية « نارسيس » عام ١٩٦٢ وهو مدرس فلسفة له دراسات حضارية متنوعة .

ومعنى ذلك ان هذه الرواية « الوان الحب الثلاثة » هي الرواية الثانية لكل من المؤلفين ، ويمكن ان تشف عن خصائص صاحبيها ، وتنم عن اتجاه كل منهما ، على الخصوص انها من النوع التحليلي الحديث ، وتجنح جنوحا ظاهرا الى اللامعقول الامر الذي لم نعهده قبل في ادبهما !.. فما قيمة هذه المحاولة الجديدة ؟!

على الرغم من افتقاد الموضوع السردي ، ذي الركائز الواقعية في الرواية ـ اذ هي في الحقيقة قطاعات لاشعورية متقاطعة تنتهي برسم لوحة اسيانة لتجربة التشتت والضياع عند محام ، هاو للسياسة ، عملي ولذي كما سنرى ـ يمكننا ان نقول ان الحدث الكبير ، والواضح في الرواية هو زواج المحامي الحلبي (نديم) من خطيبته القديمة (سميحة) ، بعد تجربة هذيان ، وهلوسة مع فتاة بارعة الجمال تدعى (نازك) ، يتيه نديم وراءها بين حلب ودمشق والقاهرة وباريز ، ثم لا يعثر لها على اثر ، وتجسد في نفسه الوحدة العربية ، حتى يقلع في نهاية الرواية عن التفكير فيها ، فيسمي ابنته من سميحة (نازك) ، متناسيا عن ماضيه آملا في المستقبل ..

وبالفعل ان محور العمل الروائي في الوان الحب الثلاثة هو هذا الحب حتى الجنون والهلوسة ، والذي يكنه (نديم) لنازك !. وكيف كان ذلك ؟!. ان (نازك) فتاة مصرية عضوة في وفد سياسي وصديقة عجوز هندية تماشيها ، يتوهم نديم انه رآها في الفندق في دمشق فتعشقها ، واتفقا على قضاء آخر الليل في التجوال في شوارع دمشق ، الا انه بدلا من ان يستجيب لوعدها يزور (سميحة) خطيبته التي فسخ خطوبتها ، ثم يتم ليلته مع سوزانا صديقته الزوجية .

ثم في اليوم التالي يعتذر نديم لها عن تخلفه عن الموعد ، فتخبره بانها مسافرة الى القاهرة ، ولذلك تعطيه رقم هاتفها في القاهرة ، وتحذره من انه اذا لم يوافها قبل انقضاء العام ، فانه لن يجدها اذ ستنزح الى باريز .. وبالفعل قبل حلول العام الجديد يركض خلفها ، يقول (سياق الرواية) يجدها في مبنى الخارجية ، فيتفقان على زيارة اسوان ويزورانها ، وهناك تفلت منه وتتركه ...

ثم يعود (سياق الرواية) فيقول بل انه افتقدها في القاهرة وطلب من صديقه (عادل بيه) ان يبحث له عنها في ناد الطبقة الراقية في مصر ، نادي الجزيرة ، فذهبا الى هناك وفتشا فيه وفي حوض السباحة وملعب الفولف فلم يعثرا على اثر لها ، ولذلك صمم نديم على اللحوق بها في باريز ، فيطير الى هناك ، ثم لا يجدها ..

ويقول (سياق الرواية) ، وعندما حطت الطائرة العائدة من باريز في مطار دمشق اتجه نديم الى متابعة البحث عن نازك ، فيتوجه الى الفندق يسأل الخادم عنها ، الا ان الخادم انكر وجودها وهناك يكتب لصديقيه السيلاني والعجوز الهندية ، واللذين ينكران وجودها بدورهما ، فيقع في الهلوسة ، والمرض النفسي الصريح ، ويعود الى امه يسألها عن ابنة الجيران (كوثر) ، ويجتر ذكريات من ماضيه اليمة وهكذا دواليك .

الملحوظ ان المؤلفين العجيلي وقصيباتي ينصان صراحة في الرواية ، ان (نازك) تجسد في نظر نديم الوحدة بين مصر وسورية ، وان (نديم) نفسه يؤكد ذلك في العديد من صفحات الرواية ، سواء في اجتماعاته المتوهمة مع نازك ، او في احاديثه عنها مع اصدقائه ، وخاصة منهم صديقه الطبيب النفساني حمدان وغيره ..

ولكن (نديم) هاو للسياسة ، والرواية لا تعالج القضايا السياسية ، الا هامشيا من خلال الاحاديث والتعليقات او من خلال هذا الهيام حتى الجنون بنازك .. في حين يظل (نديم) مع لذائذه ، ومع هموم عمله وهموم حياته اليومية حتى يتزوج من (سميحة) ويرزق منها بابنة .. فما هو هذا الهيام ؟. ما هو هذا اللون من الحب اللاواقعي اذن ؟

---

(١) و (٢) ـ راجع لعدنان بن ذريل « الرواية العربية السورية » دمشق ١٩٧٣ ، و« عبد السلام العجيلي » دراسة نفسية في الوصف القصصي والروائي » ، دمشق الطبعة الثانية ١٩٧٢ ..

اني في الحقيقة احمل الصديقين العجيلي وقصيباتي مسؤولية هذا التحلل من السردية التحليلية ، والركض وراء الاوهام، لالومهما بالفعل على الزور الذي صارت اليه الرواية ، والعصابية المرضية التي طبعت شخصية نديم .. فاذا الرواية نسق مبسط ومبتذل من حديث اللاشعور ،، واذا (نديم) شخصية عصابية صريحة المرض غريبة وشاذة ..

وليس يسمح النقد المذهبي بالخلط بين الاصول الادبية ، والمعايير المذهبية التي للواقعية ، او اللامعقول او سواهما .. وطالما ان اتجاه اللامعقول يعتمد للكشف عن اغوار اللاشعور على الرمز وايحاءاته، فلا داعي ثمة الى تبسيط الرمز ، او ربطه بالواقع والا خرجت الرواية عن لا معقوليتها ، وفقدت قوتها التلقينية .

وان مزج المؤلفين بين الحقيقة والخيال ، الوهم والواقع، قطاعات اللاشعور ، وتسلسل الاحداث (٣) بدد الطاقة الايحائية التي لتقنية اللامعقول في الرواية ، حتى صارت الفصول فيها بالاحرى تعليما مبسطا في حالة نفسية مرضية ، هي حالة هذا المحامي الهاوي للسياسة وفشله في ركضه الفريب وراء وهم يزينه له لاشعوره ، حتى يقع صراحة في المرض ، ثم يقنع بالزواج من خطيبته القديمة ..

ان تبسيط حركة اللاشعور ، وربطها بواقع الاحداث في حياة هذا الهاوي للسياسة هو الذي اضر اذن بتقنية الرواية ، وشخصية نديم على السواء .. في حين ظلت (نازك) شيئا متوهما ، مفارقا للواقع ،، يوحي بالعصابية والمرض اكثر مما يوحي بالطموح السوي الى الايجابية والعطاء، وظل اقتران نديم بسميحة صورة لقناعة المحب القديم بمحبوبته القديمة ..

يضاف الى ذلك ان التيار الذهني في الرواية جاء يغلب عليه التشاؤم وتمجيد الوهم ، بفعل السلبية التي لمواقف (نديم) من العمل السياسي وبفعل هذا الحب الفريب والشاذ الذي ظل شيئا مرضيا في حياة مشتتة ، مضيعة .. والاولى في مثل حالة نديم مراعاة التقنية وايحاءاتها ، دون تحجيرها بالتبسيط ، او تبديدها بتسقط المعاني..

وعلى العموم الرواية صورة جريئة واسيانة لفئة من الشعب المشتت في الخمسينيات ، كان من اريحية المؤلفين العجيلي وقصيباتي تعريتها في همومها ومتناقضاتها ،، في سويتها ومرضها .. والى اللقاء في نتاج مقبل ..

---

(٣) ـ وعلى الخصوص مناقضة حدث لحدث اخر في سياق الرواية.

دمشق　　　　عدنان بن ذريل

●

١ ـ ديوان ابن عنين

تحقيق شاعر الفيحاء خليل مردم بك ـ طبعة ثانية ـ بمطبعة دار صادر في بيروت ـ وعليها زيادات بخط المحقق

ان ابن عنين شاعر دمشقي مطبوع بارع كل البراعة باللغة العربيةوادابها وماهر كل المهارة بنظم الشعر وتضمينه المحسنات البديعة واشتهر بخفة الروح والظرف والدعابة والمجون والسخرية والهجاء المقذع ولم يسلم من سلاطة لسانه كثير من الملوك والوزراء والامراء والوجهاء والفقهاء حتى انه تعرض للسلطان صلاح الدين الايوبي الفاتح الكبير والقائد العظيم فقال :

سلطاننا اعرج وكاتبه　　ذو عمش والوزير منحدب

ولم يستطع التعرض له الا بعرجه لانه كان كامل الصفاتالحميدة والمزايا الكريمة وقد اشاد به مؤرخو العرب والفرنج حتى اعداؤه ـ والفضل ما شهدت به الاعداء ـ وللشاعر بعض ابيات في مدحه كقوله:

صلاح الدين يا خير البرايا　　ومن قد عم بالفضل الرعايا

ويقصدبقوله فيبيت التعريض: وكاتبه :العماد الكاتب . و:بالوزير: القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ولابن عنين فيه هجاء فاحش تشمئز منه النفوس وتاباه الاذواق .

ولد ذلك الشاعر الفحل في دمشق عام ٥٤٩هـ ١١٥٤ م وتوفي عام ٦٣٠هـ ١٢٣٢م واسمه الكامل شرف الدين ابو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن علي بن غالب المعروف بعنين الانصاري . قال الشعر وهو في السادسة عشرة زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ولما استفحل هجاؤه المر للناس وضجوا منه نفاه السلطان فطاف البلاد العربية والخراسانية والهندية وغيرها واستقر مدة من الزمن فياليمن وكان ملكها سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وقد مدحه الشاعر لانه اكرمه واحسن وفادته وكانيتاجر في البلاد التي طاف بها وبقي بعيدا عن دمشق زهاء عشرين سنة الى ان توفي السلطان وتولى مكانه ابنه الافضل ولم يستقم له الامر فاستولى على الحكم عمه العادل ابو بكر سيف الدين فعاد الشاعر اليها ومدح الملك العادل وتقرب منه ثم تقلد الوزارة في عهد الملك المعظم ومدة الملك الناصروتنحى عنهافي عهد الملك الاشرف ومكث في بيته حتى مات ومن شعره الجيد قصيدته التي بعث بها الى الملك العادل يستاذنه بالعودة الى دمشق فاذن له وهذا مطلعها وبعض ابياتها :

ماذا على طيف الاحبة لو سرى　　وعليهم لو سامحوني في الكرى

جنحوا الى قول الوشاة واعرضوا　　والله يعلم ان ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية　　الا لما رقش الحسود وزورا

هبني اسأت كما تقول وافترى　　واتيت في حبيك امرا مفترى

ما بعد بعدك والصدود عقوبة　　يا هاجري قد آن لي ان تغفرا

وقال فيها :

ما في ابي بكر لمعتقد الهدى　　شك يريب بانه خير الورى

سيف صقال المجد اخلص متنه　　وابان طيب الاصل منه الجوهرا

بين الملوك الغابرين وبينه　　في الفضل ما بين الثريا والثرى

وقال يمدح الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وكان له وزيرا ونديما :

اشاقك من عليا دمشق قصورها　　وولدان روض النير بين وحورها

ومنجس في ظل احوى كانه　　ثياب عروس فاح منها عبيرها

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوي　　من الموصل الحدباء الا قبورها

قوله احوى اي اخضر ويروى : في ظل كرم : وقد دعا علىالموصل بعدم الارتواء ودعا لقبورها بالسقيا اكراما للشاعر ابي تمام الطائي وهو مدفون فيها :

ومنها قوله في ممدوحه :

مليك تحلى الملك منه بعزمة　　بها طال من رمح السمال قصيرها

يلاقي بني الآمال طلقا فبشره　　بما املته من نجاح بشيرها

فما نعمة مشكورة لا يبثها　　وما سيرة محمودة لا يسيرها

وقال في مدحه ذاكرا وقعة الفرنج في دمياط :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغىعنا　　اذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا

غداة لقينـا دون دمياط جحفـلا   مـن الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
سقينـاهم كاسا نفت عنهم الكرى   وكيف ينام الليل من عدم الامنـا
لقوا الموت من زرق الاسنة احمرا   فالقـوا بايديهم الينـا فاحسنا
فكـم مـن مليك قد شددنا اساره   وكم من اسير من شقا الاسراطلقنا

ومن شعره البديع قصائده في الحنين الى دمشق ومنها قولـه وهو في اليمن :

حنين الى الاوطـان ليس يـزول   وقلب من الاشـواق ليس يحـول
ابيت واسراب النجـوم كـأنهـا   قفول تهـادى اثرهـن قفـول
دمشق فبي شـوق اليها مبـرح   وان لج واش او الـح عـذول
ديار بها الحصبـاء در وتربهـا   عبيـر وانفـاس الشمال شمـول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلـق   وصح نسيـم الـروض وهو عليل

ومن قصائده في الحنين الى دمشق قوله :

لولا ادكارك تل راهط والحمـى   ما سح جفنك بالدمـوع ولا همـى
اني اتجهـت رأيـت روضا محدقا   بشفـا غديـر كالمجـرة والسمـا
يـا اهـل ودي بالشـام تحيـة   من نازح لـم يبق فيه سوى النما

لقد قصر النماء لضرورة القافية وهي ممدودة ومعناها بقيةالنفس.

وقوله في قصيدة :

يذكرني البرق الشآمـي ان خفـا   زمانـي بكم يا حبذا ذلـك الزمن
ويا حبذا الهضب التي دون (عزتا)   اذا ما بدا والثلج قد عمم القنـن
وهل نافعي ان البـلاد كثيـرة   اطوف بهـا والقلب بالشام مرتهن

خفا : ظهر ولمع . عزتا : حصن كان قرب قرية عين الفيجة .

ومن غزله اللطيف قوله وقد طلب منه الملك المعظم ان يصـف مملوكا له قائما يظلله من الشمس :

وغصن بان قلوب الناس قـاطبـة   منه على خطر ان ماس او خطـرا
بـدا وابدى بـرؤيـاه لنـا قمرا   فيه من الحسن ما للعقل قد قمرا
هو الغـزال ولكني عجبت لـه   من الغزالة اذ زارته ان نفـرا
وظـل مستترا منهـا ومحتجبـا   عنها ونورهما في الناس قد ظهرا
فقلت حسبك لا تخش اجتماعكمـا   فالشمس لا ينبغي ان تدرك القمرا

وفي الشطر الاخير تضمين للاية الكريمة « لا الشمس ينبغي لهـا ان تدرك القمر » وكان المؤرخ المشهور ابن خلكان يقدمه على شعـراء عصره ومما قاله به « خاتمة الشعراء لم يأت مثله بعده ولا كان في اواخر عصره من يقاس به ».

والديوان يشتمل على ٢٦٩ صفحة من القطع الكبير قام بتحقيقـه وتدقيقه وترتيبه وتبويبه وشرح بعض الفاظه رئيس المجمع العلمي العربي سابقا والشاعر الملهم خليل مردم بك رحمه الله وقد وضع له مقدمـة طويلة وممتازة لم يترك فيها شاردة او واردة عن ابن عنين الا احصاها ولم يضم الديوان كل شعر ابن عنين واسم جامعه كما ذكر في النسختين الحجازية والمصرية (محمد بن المسيب بن نبهان بن محمد الدمشقـي الثعلـبي).

وقد صحح المحقق الديوان ونقحه على النسخة الظاهرية ونسخـة كمبردج ونسخة الشاعر احمد الصافي النجفي والنسختين الموصليتيـن والنسخة الباريسية والنسخة الحجازية والنسخة المصرية والاولـى اقدمهـا .

وجاءفي الطبعة الجديدة تحقيق دقيق كان المحقق كتبه بخطهالواضح الانيق زيادة على الطبعة الاولى مع استدراكات من شعر ابن عنين .

واحتوى اخرالديوان على اربعة فهارس الاول فهرس الديوانوالثاني فهرس القوافي مرتب على حروف المعجم والثالث فهرس الاعلام والرابع فهرس البلدان والامكنة . وهكذا صدرت الطبعة الاخيرة من الديوان في غاية الاناقة والاتقان .

وقد تفضل باهدائه الي الاخ الكريم والشاعر المبدع عدنان مـردم بك نجل المحقق الجليل فله مني الشكر الجزيل اذ استمتعت بمطالعته واستفدت من محتوياته .

٢ ـ اوراق الليل

ديوان ماتع صغير الحجم يضم ١٢٧ صفحة طبع بمطبعة المعارف فـي بغداد عام ١٩٧٤ للشاعر الكبير المجيد الاستاذ نعمان ماهر الكنعـاني وقد تفضل باهدائه الي فطالعته برغبة مستمتعا بحلاوة شعره وطـلاوته وجودة الفاظه ومعانيه وسلامة ديباجته وسمو خياله بلغة صحيحةسالمة من كل شائبة يندر مثلها في الدواوين الحديثة وفي الديوان من الشعر القومي والوطني والعاطفي ما تهتز له المشاعر وتطرب به الالباب وقـد صدره بالابيات الرقيقة الاتية :

بينـي وبيـن الليـل عهـد   يهفـو لـه ارق وسهـد
حتـى اذا نـزت بمكـ   ـنها الجراح وضـاق حـد
هتف اليـراع بطرسـه   فـاذا نثيـر الصـدر عقـد

وهي ابيات مهفهفة جميلة .

وقد جعل ديوانه قسمين فمن القسم الاول قصيدته : اشبـاح وارواح : وهي مئتا بيت تتألف من اربعين مقطوعة مختلفة القوافي كل منها خمسة ابيات وهذه هي احدى مقطوعاتها :

والشعـر الحـان يـرددهـا   لهـف ويسمعهـا هـوى نضر
تستـافـه الاشـواق حـالمـة   بالزهـر يسقيـه شـذا عطر
ذوب مـن الامل الشهي جـرى   لفظـا وعانـق حرفـه وتـر

جهل المواصف حيث ترصده ... اوقاته ما اختطت الغير
يا خاطرات الشعر غاضبة ... ما كان قط عليك يأتمر

وهي ابيات شفافة مرهفة .

وقصيدته : ناجيت يثرب : ومنها قوله :

اقريش ما صدق الفخار ولا حلا ... الا غداة اطل منك محمد
اقريش قد بسم الزمان فمكة ... للخافقين على الليالي مقصد
ارج من الذكرى يضوع وتنثني ... منه القوافي زهوة وتفرد
ناجيت يثرب والحنين يهزني ... والشوق يهتف والمنى تتوجد

وهذه الابيات تدل على عاطفته الدينية .

وقصيدته : آمنت بالعرب : ومنها قوله :

فجر لتشرين هز الليل لامعه ... كيما يقاضي على غدر حزيرانا
سارت دمشق وسار النيل فالتقيا ... على الفداء فهب المجد يلقانا
وللوفاء لواء خافق رفعت ... بغداد في ظله للبذل بنيانا
حمية سعرت في الضاد نخوته ... فصافح النصر انجيلا وقرآنا
آمنت بالعرب ما تلوى شكيمتهم ... الا تدفقت الآجال فرسانا
آمنت بالعرب لم يخمد لهم شرد ... الا تجدد منه الوقد حرانا

وهي ابيات قومية تشيد ببطولة العرب ونصرهم المؤزر على الصهاينة المعتدين .

وقصيدته : صوت الفداء : وقد انشدها في مهرجان الشعر التاسع ببغداد عام ١٩٦٩ ومنها قوله :

عذرت القوافي ما شكون نفادا ... فليت القوافي تستحيل عتادا
وليت البيان السمح لاذ بصمته ... ليسمع من قول السلاح سدادا
بالف عكاظ قد قرنت رصاصة ... وفاقت عكاظا احرفا ومدادا

ومن قصائد القسم الثاني قصيدته : انت ليل : ومنها قوله :

لا هواك الهوى ولا ذكراه ... اخطأ القلب اذ دعاك هواه
وليالي الاحلام لم يبق منها ... ما تريد الحديث فيها الشفاه
انت في النفس كل ما تشتهي النفـ ... ـس فتاء يضوع منه صباه
اجيبان نحن كيف برانا ... دربنا والمسير شتى خطاه
لو كشفنا اسرارنا لاعترفنا ... اننا في اختلافنا اشباه

والابيات غزلية رقيقة .

وقصيدته : نحن للصيف : ومنها قوله :

من معانيك سالت الشعر لحنا ... فهفا الشعر لنجواك وغنى
لك للعشرين تزهو بالصبا ... عبق الزهر ومال الروض غصنا
ولعينيك تهادى حالما ... بردى يسال من عينيك لونا
كانت الغوطة ظلا للهوى ... دام ظل عاد في جفنيك مغنى
لا تقولي سوف يضنيني النوى ... للنوى معنى كما للقرب معنى
نحن والصيف صفيان فهل ... يمنع الصيف لقاء الصفو عنا
نحن للصيف ظلال وشذا ... والهوى بينهما قيس ولبنى

وفي القصيدة نسيب وتشبيب بديعان .

وخلاصة القول في شعر الديوان انه بارع ورائع واني لاشكرصاحبه على هديته الثمينة النفيسة .

جبله ـ سورية — رشاد علي اديب



● قلوب على الاسلاك ـ رواية ـ تاليف عبد السلام العجيلي ـ ٤٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الاهلية للنشر والتوزيع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الملك عبد العزيز في مراة الشعر ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة مكة للطباعة والاعلام .

● المطلع التقليدي في القصيدة العربية : دراسة ونقد وتحليل ـ تاليف عدنان عبد النبي البلداوي ـ تقديم الدكتور ابراهيم السامرائي ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الشعب ببغداد .

● الانتاج الفكري الجزائري في عشر سنوات ١٩٦٢-١٩٧٢ ـ القسم الاول الانتاج المكتوب بالعربية ـ اعداد محمود بو عياد مدير المكتبة الوطنية وعائشة خمار باحثة بالمكتبة الوطنية ـ ٢١٨ صفحة تقريبا ـ اصدارات المكتبة الوطنية سلسلة البيبليوغرافيات والفهارس رقم ١ ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التاريخ بواسطة الشريط ، تجربة للمكتبة الوطنية الجزائرية ـ النص باللغة الفرنسية ـ تاليف محمود بو عياد مدير المكتبة الوطنية ـ ٨٠ صفحة ـ اصدارات المكتبة الوطنية سلسلة التقارير والوثائق رقم ١ ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قناديل ـ تاليف نادبا الجردي نويهض ـ صمم الغلاف عارف الريس ـ ١٩٤ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ مطابع هيدلبرج لبنان .

● المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى ـ تاليف فوزي سابا ـ تقديم الدكتور فوزي عطوي ـ ٥٦ صفحة ـ منشورات صدى الارز (جونيه لبنان) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاتجاهات المتوقعة لعبء تامين معاش الشيخوخة الشامل لكافة افراد المجتمع في مصر ـ تاليف الدكتور محمد صلاح الدين صدقي الاستاذ المساعد بكليتي التجارة جامعة القاهرة وجامعة بيروت العربية ـ ٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● حقوق الانسان بين امس واليوم ـ تاليف وجدي ملاط رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان نقيب المحامين في بيروت ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ محاضرة القيت في جامعة بيروت العربية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● الاستغلال كسبب لابطال العقد ـ تاليف الدكتور عبد المنعم فرج الصدة عميد كلية الحقوق بجامعة بيروت العربية واستاذ القانون المدني بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٤٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● فروض علمية في تقسيم علاقات الحرب والسلام ـ تاليف الدكتور محمد طه بدوي استاذ العلوم السياسية بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .